الباب الرابع : في الطب، تاريخ وأخلاقيات

- في الأخلاقيات الطبية
- خمسة آلاف سنة من الطب في مصر
- مصر والطب العربي
- متحف قصر العيني . مائة وثمانون عاماً على إنشاء المدرسة الطبية المصرية
- الجمعية الطبية المصرية في عيدها التسعيني
- علاج محدودي الدخل

في الأخلاقيات الطبية

العلاقات المهنية بين الطبيب والمريض:

يصف ابن أبى أصيبعة صناعة الطب بأنها "أشرف الصنائع وأربح البضائع، وقد ورد تفضيلها فى الكتب الإلهية، والأوامر الشرعية، حتى جعل علم الأبدان قريناً لعلم الأديان".

والأخلاقيات هى المبادئ الأساسية التى تقوم عليها القوانين والأعراف والقواعد المدونة التى تلتزم بها الفئات المهنية المتخصصة.

إن القيم الدينية والفلسفية، والعقائدية، والثقافية، هى المنابع الرئيسة للأخلاقيات الطبية والبيولوجية.

وتمثل المبادئ الأخلاقية الأساسية للطب والمهن الصحية جزءًا لا يتجزأ من المبادئ الأساسية للإسلام باعتباره طريقة حياة.

وجميع أعضاء المجتمع المصرى يعتبرون إخوة فى الإنسانية، وتترتب على هذه الإخوة واجبات كثيرة.

يقول الدكتور شوقى ضيف. "الإسلام خاتمة الديانات الربانية، وقد أرسى الله ورسوله فيه أسس حضارة إسلامية قويمة لسعادة البشرية، وهى تتوزع بين أسس عقيدية وأسس اجتماعية وأسس أخلاقية، مع السمو بالإنسان عن كل ما يشين حياته من المحظورات والموبقات". وحضارة الإسلام حضارة عقلية تحتكم دائماً إلى العقل. وأرسل الله كل رسول إلى قومه إلاّ محمداً فإنه أرسله إلى الناس كافة فى مشارق الأرض ومغاربها، ليبلغهم الإسلام، لأن الإسلام دين عالمى وعالميته تتضح فى أنه طلب إلى المسلمين أن يكفلوا لجميع أصحاب الملل ــ إلهية ووثنية غير إلهية ــ فى ديارهم حرياتهم الدينية فى أداء شعائرهم، وأن يصونوا لهم معابدهم وأموالهم، ويتعايشوا معهم جميعاً معيشة كريمة. وفى هذا المناخ الإسلامى الحضارى كان يجتمع ذوو الملل المختلفة فى مجالس العلماء يتجادلون ويتناظرون؛ ويأمر الله رسوله والمسلمين أن يأخذوا أنفسهم بالشورى فى الحكم،

وبذلك يصبح إجماع المسلمين أصلاً ثالثاً فى الشريعة بعد القرآن والسنة. جعل الله ورسوله الاجتهاد فى الأحكام فى فروع الدين فريضة على كل مسلم، ولذلك عُدَّ الاجتهاد أصلاً رابعاً فى الشريعة الإسلامية بعد القرآن والسنة والإجماع. وحضَّ الله والرسول المسلمين على طلب العلم والتعليم، وفى ذلك نزلت أول آيات القرآن، وتكررت منه الإشادة بالعلم والعلماء، وفضَّله الله فى أوائل سورة البقرة على تسبيح الملائكة، إذ أمرهم بالسجود لآدم توقيراً لعلمه، وفضل الرسول طلبه على الجهاد وعلى النسك والعبادة، وبالمثل مجد الله العقل وأبطل الله ورسوله الإيمان بالخرافات والسحر وكل ضروب الشعوذة. فالحضارة الإسلامية، حضارة تقدس العقل والعلم، فهى حضارة علمية عقلية.

إن المبادئ الإنسانية للأخلاقيات الطبية تعود إلى مرجعيات: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والتراكم التطبيقى للشريعة الإسلامية، ومرجعيات الحضارات المتعاقبة على مصر، ومرجعية مدرسة قصر العينى الطبية.

وقد درجت الأمم والمجتمعات على أن تضع مبادئ يلتزم بها الأطباء فى ممارستهم لمهنتهم السامية؛ تكون بمثابة ميثاق أخلاقى أو دستور طبى أو التزام مهنى؛ تحافظ من خلاله على أسرار المرضى، وتضمن به سمو تلك المهنة ورفعة شأنها.. وتنبع تلك الأخلاقيات من المتطلبات التى تلزم ممارس تلك المهنة بالالتزام بها؛ سواء كان ذلك مرتبطًا بالعادات والتقاليد فى ذلك المجتمع أو مؤسسًا على عقيدة تملى على المتمسكين بها أحكامًا يخضعون لها.. أو غير ذلك، وتستمد أهميتها من خلال قوة الأخذ بها بين أفراد ذلك المجتمع، ذلك أن وضعها ارتكز على ديانة سماوية، أو حضارة دينية، أو تاريخ عريق، أو منهج أصيل، أو تقاليد قويمة، أو غير ذلك مما تعتز بها الدول والشعوب.

وكلما كانت تلك الأخلاقيات ذات مرجعية دينية كان التمسك بها أجدر أن يتأصل فى تلك المهنة السامية، وكلما كان هدفها الحفاظ على أسرار تلك المهنة ارتفع شأنها بين أفراد المجتمع أى اقترن العمل والممارسة لها بالقسم على الالتزام بأحكامها.

ومن هنا سعت الدول إلى وضع ذلك المنهج الأخلاقى، حتى سماه البعض

دستورًا، وسماه البعض عهدًا، وغير ذلك مما يضفى الاهتمام البالغ بأحكام هذا الدستور أو ذلك العهد. واعتبر الخروج عليه موجبًا محاسبة هذا الشخص الممارس؛ لأنه انتهك مبدأ أصيلاً معمولاً به منذ تاريخ وضعه، ومبيحًا نشر أسرار تضر بممارسة المهنة وتؤذى صاحبها فى ذاته وسمعته ومرضه وأسرار حياته.. وما قد يعبَّر به من قبل ضعاف النفوس، وهذا مما قد يدفع ببعض المرضى إلى رفض العلاج لئلا يبوح البعض بأسراره، بل يدفع الأسر إلى عدم إلحاق أبنائهم المتميزين علميًا بكليات الطب خوفًا عليهم من النيل منهم.. بل يدفع ذلك كله إلى رفض المرضى من الدول الأخرى لزيارة هذا البلد الذى لا دستور أخلاقيًا له، ولا عهد طبيًا لأطبائه.

وإذا كان الطب إنسانية فى ممارسته، وأدبًا فى معاملاته، وأمانة فى بلوغ مراميه؛ ومهنة سامية فى تعاطيه، فإن مداواة العلل التى مست وجدانهم وعواطفهم تتقدم على مداواة أجسادهم وأبدانهم.. بل إن من أولويات ممارسة الطب هو استقبال الطبيب مريضه بالبشارة وطيب الكلام وحسن الاستقبال كمنفذ إلى الشفاء، وبوابة إلى الحكمة التى يجب أن يتحلى بها.. وهذه الحكمة خير شاهد على شعوره بأهمية التحلى بالسمات المغلفة بالفلسفة وما ابتدعته الحضارات من آداب، وما قضت به الأديان من تقاليد ماثلة فى القلوب، تجعله صدى لأحكام الأخلاقيات الطبية، ومثلاً يتقلد بها فى سائر معاملاته.

ولما كان الغرب قد استند فى الأخلاقيات التى وضعها لممارسى الطب إلى ما استقاه من حضارته القديمة، فإن للعرب مرجعيات عديدة فى هذا الشأن، إذ استمدت دستورها الطبى مما نص عليه القرآن الكريم والسنة النبوية من آداب يتحلى بها الجميع، ولا سيما الأطباء، بالإضافة إلى ما ورد من مأثورات فى كلام العرب وبخاصة حكماؤهم وفلاسفتهم.. ومن بين تلك الدول: العراق والجزيرة وبلاد الأندلس والمغرب والشام.

ومن يتصفح تاريخ الطب فى مصر يجد النبوغ فى الجانب الدينى والروحانى للكثير من ممارسى المهنة، حتى عرف عن الأطباء القدامى بأنهم حكماء أيضًا.. بل كان الطبيب فى مصر يلقب بلقب "الحكيم" انعكاسًا لما يتحلى به من حكمة ورزانة وخلق وأدب قويم.. الأمر الذى أتاح نشر الفكر داخل نسيج العلوم الطبية.. وإن من

يرجع إلى سير الكثيرين منهم يجد الكثير من أقوال حكمائهم التى تحض على انتهاج السلوك المهنى والثراء العلمى والخلقى، واستمرارية الرسالة وحيوية الإبداع..

كذلك فقد اتسم الطب بممارسات قديمة، وبرع فى ذلك التخصص العديد من القدماء، ويشهد تاريخ مدرسة الإسكندرية، وما أعقبها من حضارات استقرت على أرض مصر أنها كانت قبلة القاصدين لاستقاء العلوم الطبية والفلسفية والحكمية، وأن هؤلاء تعلموا بها الطب والحكمة والفلسفة والأدب.. ثم جاء العصر الإسلامى فوجدوا عناية حكام مصر وخلفائها، وحظوا بمجالستهم ومحبتهم، ونالوا شهرة واسعة ومالا وفيرًا.. وكانت لهم آدابهم التى تملى عليهم رعاية صناعتهم وحفظ أسرار مرضاهم.

وعلى مدى تاريخها الممتد؛ ارتكز على مرجعيات عديدة لميثاقها الطبى، فى مقدمتها: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والحضارات المتعاقبة، والعصر الحديث، حيث انبعثت نور النهضة الطبية، إلى جانب التراجم التى عكست النهضة المعرفية فى أوربا، وما وضعه أطباء الغرب من أحكام.. وذلك إلى جانب الجمعيات العلمية والمجامع اللغوية التى أقيمت لنشر المعرفة فى العالم العربى، وفى مقدمتها الجمعية الطبية المصرية ومجمع اللغة العربية.

حتى إن الطب اقترن ــ كما أورد ذلك كتابى حكماء وشعراء من أون إلى قصر العينى ــ بالشعر والحكمة، وأوردت عددًا من أقوال حكماء الطب فيما يتصل بالحفاظ على سمو الصناعة الطبية وعلو شأن المرضى وأسرار علاجهم.. كما ضم كتابى هذا عددًا من الأراجيز الطبية التى تضمنت الكثير من هذا الميثاق الطبى.. كذلك شملت الندوات والمؤتمرات نتائج مبهرة صارت للأطباء مرجعًا ومنطلقًا لمستقبل عملهم.

وفيما يلى هذه المرجعيات وبعض نصوصها التى تمثل أساسًا للأخلاقيات الطبية فى مصر.

أولاً: المرجعية القرآنية

وهى أولى المرجعيات التى تحكم السلوك، وتؤصل القواعد والأحكام.. وقد تضمن القرآن الكريم كل ما يتصل بآداب السلوك التى يتحلى بها الجميع، والتى يسمو بها

الأفراد ويعظم بها الشأن ويرتقى بها مقام المتمسكين بها..

قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٨).

والأمثلة كثيرة.

وهناك سمات عديدة تحكم العلاقة المهنية بين الطبيب ومريضه، منها:

الأخلاق:

قال تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

الأمانة والعهد:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون: ٨).

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٤).

الشفاء:

قال تعالى : ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء: ٨٠).

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء: ٨٢).

﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ (النحل : ٦٩).

التوكل:

﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (الزمر: ٣٨).

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ٥١).

المراقبة:

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١).

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك: ٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ (آل عمران: ٢٠٠).

المحاسبة:

﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون﴾ (الجاثية : ١٥).

﴿ولا نكلف نفساً إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون﴾ (المؤمنون:٦٢).

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ (الحشر: ١٨).

﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم{٦} فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره{٧} ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره{٨}﴾ (الزلزلة: ٦- ٨).

الصدق:

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ (التوبة: ١١٩).

﴿هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ (المائدة: ١١٩).

الرحمة والعطف والرفق:

﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ (الأنعام: ٥٤).

﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ (الحجر : ٨٨).

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء : ١٠٧).

الصبر:

﴿واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ (هود:١١٥).

﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾ (البقرة: ١٥٣).

﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ (آل عمران:٢٠٠).

﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ (الشورى: ٤٣).

﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾ (الأحقاف: ٣٥).

الرضا بالرزق:

﴿واللَّهُ يرزُقُ من يشاءُ بغيْر حساب﴾ (البقرة: ٢١٢).

﴿واللَّهُ فضّل بعْضكُمْ على بعْض في الرّزْق﴾ (النحل: ٧١).

التنفيس عن المريض:

﴿فبشّرْ عباد{١٧} الّذين يستمعُون الْقوْل فيتّبعُون أحْسنهُ﴾ (الزمر: ١٧، ١٨).

غض البصر:

﴿قُل لّلْمُؤْمنين يغُضُّوا منْ أبْصارهمْ ويحْفظُوا فُرُوجهُمْ ذلك أزْكى لهُمْ﴾ (النور: ٣٠).

حفظ السر:

﴿إنّ اللّه يأمُرُكُمْ أن تُؤدُّواْ الأماناتِ إلى أهْلها وإذا حكمْتُم بيْن النّاس أن تحْكُمُواْ بالْعدْل إنّ اللّه نعمّا يعظُكُم به إنّ اللّه كان سميعاً بصيراً﴾ (النساء: ٥٨).

التقوى:

﴿وتزوّدُواْ فإنّ خيْر الزّاد التّقْوى﴾ (البقرة: ١٩٧).

﴿يا أيّها الّذين آمنُواْ اتّقُواْ اللّهَ وكُونُواْ مع الصّادقين﴾ (التوبة: ١١٩).

﴿واتّقُواْ اللّه ويُعلّمُكُمُ اللّهُ واللّهُ بكُلّ شيْءٍ عليمٌ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

تكريم الإنسان:

﴿ولقدْ كرّمْنا بني آدم﴾ (الإسراء: ٧٠).

الإيثار:

﴿ويُؤْثرُون على أنفسهمْ ولوْ كان بهمْ خصاصةٌ﴾ (الحشر: ٩).

واجبات الطبيب نحو المجتمع:

﴿وابْتغ فيما آتاك اللّهُ الدّارَ الآخرةَ ولا تنسَ نصيبك من الدُّنْيا وأحْسن كما

أحْسن اللّهُ إليْك﴾ (القصص: ٧٧).

﴿يا أيُّها الّذين آمنُوا ارْكعُوا واسْجُدُوا واعْبُدُوا ربَّكُمْ وافْعلُوا الْخيْر لعلّكُمْ تُفْلحُون﴾ (الحج: ٧٧).

تحريم قتل النفس:

﴿ولا تقْتُلُواْ أوْلادكُمْ خشْية إمْلاق نّحْنُ نرْزُقُهُمْ وإيّاكُم إنّ قتْلهُمْ كان خطْئاً كبيرا﴾ (الإسراء: ٣١).

﴿ولا تقْتُلُواْ النّفْس الّتي حرّم اللّهُ إلاّ بالحقّ﴾ (الإسراء: ٣٣).

حسن التصرف مع الزملاء:

﴿والْكاظمين الْغيْظ والْعافين عن النّاس واللّهُ يُحبُّ الْمُحْسنين﴾(آل عمران: ١٣٤).

﴿ولوْ كُنت فظّا غليظ الْقلْب لانفضُّواْ منْ حوْلك﴾ (آل عمران: ١٥٩).

﴿يا أيُّها الّذين آمنُوا لا يسْخرْ قومٌ منْ قوْم عسى أن يكُونُوا خيْرا منْهُمْ ولا نساء منْ نّساء عسى أن يكُنّ خيْرا منْهُنّ ولا تلْمزُوا أنفسكُمْ ولا تنابزُوا بالألْقاب بئْس الاسْمُ الْفُسُوقُ بعْد الإيمان ومن لّمْ يتُبْ فأُوْلئك هُمُ الظّالمُون{١١}﴾ (الحجرات: ١١).

التواضع ــ الحياء:

﴿واخْفضْ جناحك لمن اتّبعك من الْمُؤْمنين﴾ (الشعراء: ٢١٥).

التعليم المستمر:

﴿وقُل ربّ زدْني علْما﴾ (طه: ١١٤).

العلم والعلماء:

﴿إنّما يخْشى اللّه منْ عباده الْعُلماء إنّ اللّه عزيزٌ غفُورٌ﴾ (فاطر: ٢٨).

﴿قُلْ هلْ يسْتوي الّذين يعْلمُون والّذين لا يعْلمُون﴾ (الزمر: ٩).

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة: ١١).

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: ٥٣).

﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣).

الروح:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء: ٨٥).

الموت:

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (الزمر: ٣٠) .

الكلمة الطيبة والتبشير بالشفاء:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ{١٧} الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الزمر: ١٧- ١٨).

الأمانة فى المشورة والقرار:

﴿وشاورهم فى الأمر﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (النساء: ٥٨).

ثانيا: مرجعية السنة النبوية

إن السنة النبوية هى الأصل الثانى فى المرجعية بعد القرآن الكريم، فهى المفسرة لأحكامه، الموضحة لما غمض علينا.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر:٧)

قال رسول الله ﷺ "**إن لكل قوم معالم فانتهوا إلى معالمكم**".

على الطبيب المؤمن أن يعلم أن الله يراقبه فى أعماله وفى ذلك يقول النبى ﷺ: "**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراهُ فإنه يراك**". فالعمل الصالح هو الذى شرعه الله وهو الموافق لسنة الله وسنة رسوله.

وعن المحاسبة بعد العمل قال رسول الله ﷺ "**إنى أتوب إلى الله، وأستغفره فى اليوم مائة مرةٍ**".

وعن المجاهدة فى سبيل العلم النافع والعمل على راحة المرضى يقول رسول الله ﷺ: "**يتبعُ الميتَ ثلاثةٌ: أهلُهُ ومالُهُ وعملُهُ، فيرجع اثنان ويبقى واحدٌ: يرجعَ أهلُهُ ومالُه ويبقى عَمَلُهُ**".

وللأخلاق منزلةٌ رفيعةٌ فى الإسلام. قال رسول الله ﷺ: "**اتق الله حَيثُما كُنت وأتبع السيئةَ الحسنةَ تَمحُها، وخالق الناس بخلق حسنٍ**".

والإحسان يكون بإجادة العمل وإتقان الصنعة والبعد عن الغش، قال رسول الله ﷺ: "**من غشنا فليس منا**".

وسئل رسول الله ﷺ عن البر فقال: "**البرُّ حُسن الخُلُق**" فالطب الإسلامى يقصد الخير للإنسانية عامة وعلى الطبيب المسلم أن يكون أقرب إلى الله وأكثر التزاماً بما أنزل الله وجاء به الرسول الكريم.

أما الإخلاصُ فهو طبيعة الطب الإسلامى المستمدُّ من السنة النبوية، وعلى الطبيب أن يكون موضعَ ثقة المريض وذويه والمجتمع أياً كانت ديانته، قال رسول الله ﷺ: "**عُودُوا المريضَ، وأطعموا الجائعَ**".

والسنةُ النبويةُ تدعو إلى الأمانة وحرمةِ الميت مثل حرمةِ الحى وفى ذلك يقول النبى ﷺ: "**كسرُ عظمِ الميتِ ككسرِ عظمِ الحىِّ فى الإثمِ**".

والطبيب صادق إذا قال أو كتب أو شهد. قال رسول الله ﷺ: "**دع ما يُريبكَ إلى ما لا يريبُك، فإن الصدقَ طُمأنينة، والكذبَ ريبة**".

وقد أمرنا رسول الله ﷺ بالمحبة والعطف والرفق: "**لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً**" فالطبيب يجب أن يكون رفيقاً وعطوفاً على مرضاه.

كما أمرنا رسول الله ﷺ بالصبر على البلاء، "من يتعبد يُصبِّره الله، وما أعطى أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر". وعلى الطبيب المسلم أن يزيد الصبرَ لدى المريض المبتلى. والابتلاء سنة الله فى الحياة وأن يكون على قدر كبير من الصبر وسعة الصدر.

وقد علمنا رسول الله ﷺ التواضع: "**إن الله أوصى أن تواضعوا، حتى لا يفخرَ أحدٌ على أحدٍ ولا يبغى أحدٌ على أحد** " وقوله ﷺ "**وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله**".

وحضنا رسول الله ﷺ على إتقان العمل "**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**".

وقد وجهنا رسول الله ﷺ على التبسم فى وجه المريض بقوله: "**تَبَسُّمُكَ فى وجه أخيكَ صدقة**".

وقد دعتنا السنةُ النبويةُ إلى أن يكون الطبيبُ طيب الكلام "**الكلمة الطيبة صدقة** " وقوله ﷺ: "**من عاد مريضاً لم يحضره أجله، فقال عنده سبعَ مراتٍ: أسألُ الله العظيمَ رب العرش العظيم أن يشفيكَ!! إلا عافاه الله من ذلك المرض**" وقوله ﷺ: "**ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء**".

كما أمرنا رسول الله ﷺ أن نُطيّبَ نفس المريض ونُبَشِّرَه بالسلامة وذلك بقوله: "**إذا دخلتم على المريض فنفسوا له فى أجله فإن ذلك لا يرد شيئاً ويُطَيِّبُ نَفْسَهُ**" وقوله ﷺ: "**... والكلمةُ الطيبةُ صدقة**".

وعلى الطبيب أن يرحم مرضاه مادياً ومعنوياً بقوله "**ارحموا من فى الأرض يَرحَمكم من فى السماء**" وقوله ﷺ: "**من لا يَرحَم الناس لا يَرحَمُهُ الله**". كما أمرنا رسول الله أن يكون الطبيبُ ليناً متواضعاً ومترفقاً مع مرضاه. قال رسول الله ﷺ: "**ما كان الرفقُ فى شئ إلا زَانَهُ**". وقوله ﷺ: "**إن الله رفيقٌ يحب الرفقَ فى الأمر كُلِّهِ**" وعلى الطبيب أن يستحيَ فى معاملاته مع مرضاه وذويهم تنفيذاً لقول رسول الله ﷺ"**إن لكل دينٍ خُلُقاً وخُلُقُ الإسلام الحياءُ**". وقوله ﷺ: "**الحياءُ لا يأتى إلا بالخير**".

وقد دعا رسول الله ﷺ إلى ستر العورات "**لا يستُر عبدٌ عبداً فـي الـدنيا إلا ستَرهُ الله يوم القيامة**". وقوله ﷺ "**لا يخلُوَن أحدكم بامرأةٍ إلا مع ذى محرم**".

كما أمرنا رسول الله بالأمانة فى المشورة والأمانة مع المرضى "**المستشارُ مؤتمنٌ**" وقوله ﷺ : "**المؤمن من أمنَهُ الناس على أموالهم وأنفسهم**" وقولـه ﷺ : "**إن الله يحب إذا عَمِل أحدُكم عملاً أن يُتقِنَهُ**".

كما أمرنا ألا نبخل بالعلم على زملائنا فى المهنة بقوله ﷺ: "**من سُئِلَ عـن علـم فكَتَمه ألجَمَهُ الله يوم القيامة لجامًا من نار**" وقوله ﷺ: "**يأتيكم رجال من قبل المشـرق يتعلمون فإذا جاءوكم فاستوصوا بهم خيرًا**" وقوله ﷺ : "**لا يحتكِرُ إلا خاطئٌ**".

وتحث السنة النبوية على العلم "**طلبُ العلمِ فريضَةٌ على كل مسلم**". وقوله ﷺ: "**من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع**" رواه الترمذى. وقوله ﷺ: "**من سلك طريقًا يبتغى فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة... وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب**" رواه أبو داود والترمذى. وقوله ﷺ : "**الحكمةُ ضالةُ المؤمن أنى وجدها ينشدها**" وقوله ﷺ : "**لا حكـيم إلا ذو تجربـة**" وقوله ﷺ : "**بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا**" وقوله ﷺ : "**إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داءٍ دواءٍ فتداوَوا، ولا تداوَوا بالمُحَرَّمِ**".

ثالثًا: مرجعية التراث التطبيقى للشريعة الإسلامية

- احتراف الطب فى مجتمع من المجتمعات واجب شرعى.. ولمـا كـان الطب ضرورة شرعية وواجبا فعلى المشرع أن يكفل ما يقوم به.
- إن احتراف الطب فرض كفاية... وهو أمر لا يحتاج إلى بيان فإن حاجة الإنسان إلى الطب حاجة أصيلة وليست حاجة لاحقة (الغزالى فى كتابـه إحياء علوم الدين).
- الطبابة يباح فيها مالا يباح فى غيرها من اطلاع على الأجسام والعورات لأن الضرورات تبيح المحظورات... وقد كانت الأسيات من المؤمنـات مع جيش رسول الله ﷺ يطببن الرجال ويضمدن الجراح فـى أى مكـان

كانت من الجسم، وكان ذلك مقبولا لا يثير جدالا ولا غبارًا.

- يدخل فى المحافظة على حياة الإنسان المحافظة على كرامته وعلى شعوره وعلى حيائه وعلى عورته وعلى أهليته للاهتمام الكامل والرعاية النفسية والطمأنينة الكاملة وهو بين يدي طبيبه.
- إن استقدام الأطباء المتخصصين من البلاد الأخرى وعلاج غير المسلم للمسلم أمر تحدده الحاجة من المرضى والكفاءة لدى الطبيب... وقد استعانت دولة الإسلام من قديم بأطباء مدرسة جنديسابور من النصارى وأولتهم الرعاية والتكريم...

وهو ما أورده كتابى "حكماء وشعراء من أون إلى قصر العينى" كما استعانت مصر بأطباء فرنسا الذين حضر بعضهم إلى مصر وأرسى دعائم النهضة الطبية فى العصر الحديث، وهو ما أوضحه كتابى "تاريخ النهضة الطبية المصرية ــ متحف قصر العينى"، وفيه صور الوفاء لأساتذة الطب الأجلاء من مصر وخارجها.. يقول كلوت بك: عندما أقسمت قسم أبقراط عند تخرجى بكلية الطب بفرنسا قررت أن أعلم أولاد من علمونى" وجاء إلى مصر ليرد المعروف إلى أبناء الفراعنة.

ينبغى على الطبيب أن يكون من بين المؤمنين بالله المراقبين له فى السر والعلن، من أهل الحكمة والموعظة الحسنة، مهذبًا مع الغنى والفقير، والكبير والصغير، يعلم أن الحياة هبة من الله، لا يعطيها إلا هو، ولا يسلبها إلا هو، وأن يتوفر له حد أدنى من الدراية بعلوم الفقه وأحكام العبادات لأن الناس تستفتيه فى أمورهم الصحية ذات الصلة بالعبادات.

- الطبيب صادق، إن قال أو كتب أو شهد يقدر حق الشهادة فى الإسلام حق قدرها فهو بمثابة المرجعية بالنسبة للمريض.
- على الطبيب أن يدرك أن الاستزادة من العلم بجانب قيمتها التطبيقية هى فى ذاتها عبادة، وامتثال بهدى القرآن وينبغى أن يصل نفسه بركب العلم فيواكب تقدمه ولا يقف عند حد تعلمه بالكلية.. إذ لابد أن يستقى من علوم الندوات والمؤتمرات، والتجارب السابقة، لا سيما من المعاهد

والجمعيات المتخصصة في علوم الطب.

- الطبيب لا يخفي علمه عن زملائه وتلاميذه، وكاتم العلم ملعون.
- الشفاء غاية والطب وسيلة، والمريض مخدوم والطب خادم.
- رزق الطبيب حلال وأجره حق وعمله أمانة، ورقيبه الأكبر ربه الذى لا يغفل وضميره الذى لا يتهاون.
- حفظ أسرار الناس وستر عوراتهم واجب على كل مؤمن، وهو على الأطباء أوجب.
- شرع الإسلام أن الجريح في حمى جرحه وأن الأسير في حمى أسره، وينبغي أن يكون عمل الطبيب في اتجاه واحد فقط هو تقديم العلاج والشفاء للصديق والعدو على النطاق الشخصي أو النطاق العام.
- إذا حكم على الحامل بالإعدام أجل التنفيذ حتى تضع، إقراراً بحق الجنين في الحياة حتى لو كان جنين سفاح.
- الطبيب هو صاحب الكلمة في أن مريضه مات أو لا يزال حيًا.
- للطبيب أن يستشير إن غم عليه وأن يستعين بالمتاح له من وسائل العلم.
- على الطبيب أن يصارح المريض بعلته إن طلب المريض ذلك بما لا يتسبب في تأخير شفائه.
- إذا استدعى العلاج إجراء جراحيًا وجب توثيق هذا القبول كتابيًا وقاية للطبيب مما قد يجره المستقبل. فإذا رفض المريض العلاج كان على الطبيب أن ينصح له ثم يثبت هذا الرفض بالكتابة أو بالإشهاد أو بتوقيع المريض حسبما يدعو الموقف أو يسمح.
- في الأحوال التي يكون فيها التدخل الطبي أو الجراحي ضروريًا لإنقاذ حياة ولا يسمح الوقت بالتأجيل فالضرورات تبيح المحظورات.
- الشريعة الإسلامية الغراء تشترط لانتفاء المسئولية عن الطبيب أمورًا أساسية هي: ١- إذن الشارع بمزاولة المهنة، ٢- رضاء المريض بالعلاج، ٣- قصد الشفاء عند الطبيب، ٤- عدم وقوع الخطأ الفاحش من الطبيب...

والخطأ الفاحش هو الذى لا تقرّه الأصول الطبية، ولا يقره أهل الفن والعلم.

- لا حجر فى الإسلام على حرية البحث العلمى، سواء أكان مجردًا للكشف عن سنن الله فى خلقه أم تطبيقيا يهدف إلى حل مشكلة بعينها.
- يجب أن تكون الفتوى جهدا مشتركا بين المسلمين من أهل التخصص فى الطب والمسلمين من أهل التخصص فى الفقه، ولا يجوز أن تصدر الفتوى من جانب واحد.
- القاعدة الشرعية تقول حيثما كانت المصلحة فثم شرع الله، شريطة ألا تخالف المصلحة نصوص الشريعة أو روحها.
- المريض الفرد فى كفالة الجماعة... فعليها أن تؤمن أسباب شفائه بما لا يضر الغير... ويدخل فى ذلك الاستعانة بالغير ببعض مفسرزاته أو أعضائه كنقل الدم للنازف والتبرع بإحدى الكليتين الصحيحتين للمريض ذى الكليتين الخربتين استبقاء لحياته.
- الإيمان دواء وعلاج وعين على المرض وجلاب للشفاء.
- على الطبيب أن يكون مدركا للتقاليد والأعراف المنظمة للمهنة التى قد تختلف من مكان لآخر كى يحظى بالاحترام الكامل من أفراد المجتمع.
- على الطبيب أن يلتزم بممارسة المهنة فى حدود كفاءته المهنية المتعلقة بمجال تعليمه ومستوى تدريبه وقدراته وخبرته.
- على الطبيب أن يدرك أهمية التعليم والتدريب المستمر حتى يتمكن من الإلمام بالتقدم العلمى والتقنية فى تخصصه.
- إذا أدرك الطبيب أن مريضه يحتاج إلى من هم أكثر منه تخصصًا فعليه أن يقوم بتحويل مريضه إلى التخصص الآخر، وعليه أن يلتزم بأن يقدم لمريضه أفضل الفرص دون أن يكون له فى ذلك مصلحة شخصية.
- قد يرى الطبيب المعالج استشارة أحد زملائه فى التخصص أو فى تخصص آخر مناسب لغرض تقديم أفضل السبل لعلاج المريض.
- ارتبط مفهوم الطب بالحكمة منذ القدم ارتباطًا وثيقًا جعل مهنة الطب

رسالة تسعى إلى الرعاية الجسدية والنفسية والاجتماعية لأفراد المجتمع.

- إن دور الطبيب فى المساندة النفسية وإرشاد الأسرة والفرد إلى الجهات التى تقدم الخدمات الاجتماعية يعتبر من الضروريات الأساسية فى الخدمة الصحية.
- الطبيب يكون التزامه الأول هو تقديم الخدمة إلى مريضه فى أعلى مستوى علمى لها وفى أفضل صورة ممكنة؛ دون اعتبار لفروق الدين أو العرق أو الجنسية أو الوضع الاجتماعى والاقتصادى.
- تقتضى تقاليد المهنة إعطاء المرضى خصوصيتهم عند مقابلتهم والحوار معهم وفى أثناء فحصهم، فالمريض أمانة فى عنق الفريق الصحى.
- لا يجوز للطبيب أن يرغم مريضه على علاج معين دون موافقته ولكن يلزمه أن يقدم له البدائل التى قد يقبلها المريض.
- للطبيب الحق فى الإجازة والراحة والسفر فى مؤتمرات علمية على أن يقوم بإبلاغ مرضاه مسبقًا بذلك ويحدد فيه تاريخ بداية التوقف وميعاد عودته للعمل، وهذا يعتبر مطلبًا أساسيًا لا بد من الالتزام به تقديرًا واحترامًا لمرضاه، وفى مثل هذه الأحوال قد يجد الطبيب أنه من الواجب أن يترك اسم وعنوان أحد زملائه أو اسم أكثر من زميل فى ذات التخصص بعد الاتفاق معهم على تقديم الخدمات الطبية لمرضاه فى أثناء تغيبه على أن يكون ذلك اختياريًا للمرضى دون إرغامهم على قبول ذلك.
- لا يجوز للطبيب أن يسعى لكى يحل محل زميل له ولا يجوز له انتقاد زملائه أو الإقلال من أقدارهم، ولا يجوز له فحص أو علاج مريض يعالجه زميل له فى مستشفى إلا إذا استدعاه ذلك الطبيب المعالج وإدارة المستشفى.
- تراكم المعرفة والخبرة والتعليم الطبى المستمر أساس ضرورى للارتفاع بالخدمات الصحية.
- التعاون الوثيق بين الطبيب وهيئة التمريض والصيدلى وفنيي المهن

الصحية المساعدة والموظفين الإداريين يعتبر جزءًا مكملاً لعمل الطبيب.

- لا يتناول الطبيب أتعابًا عند تقديمه الخدمة الطبية لزملائه الأطباء وأعضاء الفريق الصحى ومن يعولونهم (الوالدين، الزوج أو الزوجة والأبناء).

رابعًا: مرجعية الحضارات المتعاقبة على مصر

كانت مصر ــ لمدة سبعين قرنا ــ مشعلا للعلم، وكانت تعاليم "أمحتب" وغيره من الأطباء المصريين هى السراج المنير للعالم قرونا عديدة. فالإنسان المصرى يتمتع بملكات وخصال مكنته من بناء مجد مصر أكثر من مرة ــ فتاريخ مصر الطبى الحضارى سلسلة من الدول والحضارات أقامها المصري القديم مرة تلو الأخرى وكلما هوت دولة وتدهورت حضارة، استطاع أن يجمع نفسه ويعيد بناءها من جديد.

١- مصر الفرعونية

لا شك أنّ مصر سبقت إلى الحضارة الطبية جميع البلاد، ومن الثابت أن قدماء المصريين هم أول من وضعوا أسس الطب وألفوا فيه الكتب التى صارت مصدرًا أساسيا للأطباء الذين ظهروا بعد ذلك فى مصر وغيرها. ويُعد الملك تتا أخو الملك مينا هو أول من وضع كتابا فى الطب ثم تبعه أنوبيس ابن الملك مينا ثم الملك نينى من الأسرة السادسة، أما الطبيب جم صيث فيعتبر أول طبيب فرعونى على الرغم مما اشتهر بأن أمحتب هو أول طبيب فى التاريخ. إن الإنسان المصرى عرف الصناعة الطبية وأخلاقياتها وزاولها وفق قواعد وأصول علمية، اعتمد عليها أطباء بابل والهند وبلاد الإغريق وأخذوا عنهم حكمة التدوين لتصل إلى الأجيال المتعاقبة ولتسجل خبراتهم.

هذه فقرة من كتاب فى بردية من عهد الرعامسة "والكتّاب المثقفون الذين يرجع عهدهم إلى عهد ورثة الآلهة، قد بقيت أسماؤهم خالدة، رغم أنهم تواروا عنا لانتهاء أجلهم، ورغم أن كل ذريتهم أصبحت نسيا منسيا... بل جعلوا لأنفسهم من الكتب والتعاليم التى ألفوها خلفا لهم من بعدهم... هل يوجد مثل بتاح حتب الحكيم

الذى تنبأ بالمستقبل وامتد تأثير علمه إلى كل الذين قرأوا تعاليمه".

ومن حكمه: الطبيب هو من اجتمعت فيه سبع خصال:

١- أن يكون تام الخلق، صحيح الأعضاء، حسن الذكاء، جيد الرؤية، وعاقلا ذكورا خير الطباع.

٢- أن يكون حسن الملبس طيب الرائحة نظيف البدن والثوب.

٣- أن يكون كتوما لأسرار المرضى، لا يبوح بشيء من أمراضهم.

٤- أن تكون رغبته فى إبراء المرضى أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجرة، ورغبته فى علاج الفقراء أكثر من رغبته فى علاج الأغنياء.

٥- أن يكون حريصا على التعليم والمبالغة فى منافع الناس.

٦- أن يكون سليم القلب عفيف النظر صادق اللهجة لا يخطر بباله شيء من أمور النساء.

٧- أن يكون مأمونا ثقة على الأرواح والأموال، لا يصف دواء قتالا ولا يعلمه، ولا دواء يسقط الأجنة، يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه.

وجاء بعده جالينوس بن نيكون وكان لأعماله الطبية أكبر الأثر فى حضارة الطب الإسلامى وما بعده.. وألف ستة عشر كتابا ولولاه ما بقى الطب واندثر من العالم أجمع.

٢ - *الحضارة الإغريقية*

ترجع صناعة الطب إلى زمن الحكيم أسقليبوس أحد الملوك الأربعة الذين صحبوا هرمس وأخذوا عنه الطب والحكمة، وهو الذى أمر بألاّ يمارس المهنة إلاّ من كان على قواعد من المعرفة والتقى وصدق النية. وقد أشار شاعر الإغريق الشهير هومير إلى أن أسقليبوس كان شخصية حقيقية، وتقول الأساطير اليونانية إن أبوللو كان أكبر آلهة الطب وقد أنجب أسقليبوس من زوجته كروس. ومن ذريته سبعة أطباء أهمهم أبقراط، وجالينوس، واستمر الطب اليونانى بشكله المستمر حتى سنة ٣٠ ق. م. وأشهر من كتب فى أخلاقيات الطب أبقراط ومن بعده هيراقليدس. وقد اشتهر أبقراط بقسمه الذى عرف باسمه:

- أقسم بالله رب الحياة والموت وواهب الصحة وخالق الشفاء.

- وأقسم باسقلبيوس وأولياء الله من الرجال والنساء جميعًا، وأشهدهم جميعًا على أن أفى بهذا اليمين وهذا الشرط.
- وأن المعلم فى هذه الصناعة بمنزلة أبائى وأصله من مالى وأعلم أبناءه الطب.
- وأقصد فى جميع التدابير منفعة المرضى.
- ولا أعطى دواء قتالاً إذا طلب منى ولا أشير بهذه المشورة.
- ولا أعطى للنساء دواء لإسقاط الجنين.
- وأمسك عن ذكر الأشياء التى أعانيها وقت علاج المرضى.
- أى بيت أدخله فسأدخله للأخذ بيد المريض بنية سليمة. أدخله بريئا من كل نية خبيثة من الإساءة لأى شخص رجلاً كان أم امرأة حرا كان أم رقيقًا.
- إن كل ما يصل إلى بصرى أو سمعى وقت قيامى بمهمتى أو فى غير وقتها مما يمس علاقتى بالناس ويتطلب كتمانى فسأكتمه، وسأحتفظ به فى نفسى محافظتى، على الأسرار المقدسة.

٣- *مدرسة الإسكندرية*

استمرت هذه المدرسة من القرن الرابع إلى القرن السابع الميلادى. وقد ساعدت مدرسة الإسكندرية على استمرار الطب الأبقراطى، وإلى هيروفيلس وإيراستراتس يرجع الفضل فى إنشاء مدرسة الإسكندرية الطبية، واستمرت مدرسة الإسكندرية وتلاميذها إلى العهد الإسلامى بعد فتح مصر وأشهرهم يحيى النحوى. ومن هنا درجت مصر على أن تتأمل ثقافتها الطبية ويؤثر كل جيل بثقافته فيمن يأبى بعده من أجيال فيتمثله ويضيف إليه. وبذلك تتصل الحضارات على أرض مصر: ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

٤- *الحضارة الفارسية*

ذاعت الثقافة الطبية العلمية ببلاد فارس بعد دخول الإسكندر الأكبر إليها سنة ٣٤٣ق.م. وفى القرن الخامس الميلادى أصبحت مدرسة جنديسابور موطنا لعدد من العلماء النساطرة الذين حملوا معهم طب أبى قراط وجالينوس الطبية، وارتقت هذه المدرسة حتى بلغ مجدها العلمى الذروة فى عهد كسرى أنو شروان (٥٣١-

٥٧٩م) وتخرج فى هذه المدرسة الحارث بين كلدة الثقفى طبيب النبى عليه الصلاة والسلام ونجله النذر بن الحارث.

ومن أشهر أطبائها برزويه الذى استنسخ "كليلة ودمنة" وترجمها إلى اللغة الفهلوية.

وكتب فى ترجمته " قد وجدت فى كتب الطب أن أفضل الأطباء من واظب على طبه، لا يبغى إلا الآخرة، فرأينا أن أطلب الاشتغال بالطب ابتغاء الآخرة، لئلا أكون كالتاجر الذى باع ياقوتة ثمينة بخرزة لا تساوى شيئا مع أنى وجدت فى كتب الأولين أن الطبيب الذى يبتغى بطبه أجر الآخرة لا ينقصه ذلك حظه من الدنيا. وأن مثله كمثل الزارع الذى يعمر أرضه ابتغاء الزرع لا ابتغاء العشب، ثم هى لا محالة نابت فيها ألوان العشب مع يانع الزرع. فأقبلت على مداواة المرضى ابتغاء أجر الآخرة، فلم أدع مريضا أرجو له البرء، وآخر لا أرجو له ذلك إلا أنى أجمع أن يخف عنه بعض المرض، فأبلغ فى مداواتى ما أمكننى القيام عليه بنفسى، ومن لم أقدر على القيام عليه وصفت له ما يصلح وأعطيت من الدواء ما يعالج به، ولم أرد مما فعلت معه ذلك جزاء ولا مكافآت ما ولم أغبط أحدا من نظراتى الذين هم دونى فى العلم وفوقى فى الجاه والمال، مما لا يعود بصلاح ولا حسن سيرة قولا ولا عملا.

٥- *مأثورات أطباء الحضارة الإسلامية*

- **أبو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقى:**

كان من الأطباء المذكورين ببغداد، ونقل كتبا كثيرة إلى العربية، من كتب الطب وغيره، وكان قد تتلمذ على يد علىّ بن عيسى، والذى ولاه رئاسة البيمارستان الذى أنشأه بالحربية ببغداد سنة ٣٠٢هـ. ومن كلامه: "الصبر قوّة من قوى العقل، وبحسب قوة العقل تكون قوة الصبر".

- **أبو الحسن على بن سهل بن ربَن الطَبرىّ:**

ولد بطبرستان، ونشأ بها أيضا، وكان أديبا مشهورا. وهو معلم الرازى صناعة الطب، أدخله المتوكل فى زمرة ندمائه، وتفسير ربن المعلّم العظيم. ومن كلامه: "الطبيب الجاهل مستحث الموت".

- **أبو بكر محمد بن زكريا الرّازى ــ توفى عام ٣٢٠ هـ:**

ولد بالرّىّ، وسافر إلى بغداد، وأقام بها مدة، وكان عمره وقت قدومه إلى بغداد نيفا وثلاثين سنة؛ وكان من صغره مشتغلاً بالعلوم العقلية، وبعلم الأدب، وبقول الشعر. وأما صناعة الطب فقد تعلمها وقد كبر، وكان معلمه فى ذلك على بن ربّن الطّبرىّ. وكان ذكيا فطنا، ودودًا بالمرضى، ومن كلامه:

"١- الحقيقة فى الطبّ غاية لا تُدرَك، والعلاج بما تنصُّه الكتب دون إعمال الماهر الحكيم برأيه خطر.

٢- الاستكثار من قراءة كتب الحكماء، والإشراف على أسرارهم، نافع لكل حكيم عظيم الخَطَر.

٣- ينبغى للطبيب أن يوهم المريض أبدًا الصحة، ويرجيه بها، وإن كان غير واثق بذلك، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس.

٤- من تطبب عند كثير من الأطباء، يوشك أن يقع فى خطأ كل واحد منهم.

٥- متى كان اقتصار الطبيب على التجارب، دون القياس وقراءة الكتب، خذل.

٦- ينبغى أن تكون حالة الطبيب معتدلة، لا مقبلاً على الدنيا كلية، ولا معرضًا عن الآخرة كلية، فيكون بين الرغبة والرهبة.

٧- الطب: حفظ الصحة، ومَرَمَّة العِلَّة".

- **الفارابى:**

أبو نصر محمد بن طرخان. ولد بمدينة فاراب من خراسان وهو فارسى. سافر إلى مصر سنة ٣٣٨هـ ثم رجع إلى دمشق وتوفى بها فى سنة ٣٣٩هـ. ومن كلامه:

- "من لا يهذب علمُه أخلاقه فى الدنيا، لا تسعد نفسه فى الآخرة.
- تمام السعادة بمكارم الأخلاق، كما تمام الشجرة بالثمرة.
- من رفع نفسه فوق قدرها، صارت نفسُه محجوبة عن نيل كمالها".

- **أبو الحسن بن زهرون الحرانى:**

طبيب ماهر، وحكيم متفلسف. والغالب عليه علم الرياضة وعلم الطب. ومن كلامه:

١- عليك فى مشورتك بالخبير العالم غير الحسود، فإن الجبان يضيق الأمور، والبخيل يقصر فى طلب الغايات، والحريص يطلب الأمور من غير استكمال الآلات والأسباب.

٢- المستشار اللبيب كالطبيب العالم، الذى إن رأى ظاهر حال المريض: فى عرقه، وتفسرته، ولونه اطلع من باطن أمره على مالا يطلع عليه المريض من نفسه، ثم عالجه على حسب ذلك.

- **أبو سهل النيلى النيسابورى:**

هو بكر بن عبد العزيز النيلى، كان حكيما فاضلاً، الغالب عليه علم الطب، وقد شرح مسائل حنين فى مجلدات مبسوطة، وكان نيسابورى المولد والمنشأ، عارفًا بأجزاء علوم المنقولات، ماهرًا فى المعالجات. ومن كلامه:

١- الصدق دعامة العقل.

٢- الصدق أمانة.

٣- لا خير فى قول لا يصدقه فعل.

٤- الطبيب لا يكذب، لأن الكذب خيانة، والطبيب من الخيانة بمعزل.

- **أبو الفرج عبد الله بن الطيب:**

فيلسوف من النصارى كان معاصرًا للشيخ الرئيس ابن سينا، قيل إنه مات سنة ٤٣٥ هـ وكان عالمًا باللغة الرومية واليونانية، ومن كلامه:

"الشرير العالم يفرح بطعن من تقدمه من العلماء، ويسوءه بقاء من فى عصره منهم، لأنه يحب ألا يكرم ولا يمدح سواه".

- **على بن رضوان:**

هو أبو الحسن على بن رضوان بن على بن معبقر، كان مولده بالجيزة، ومنشؤه بمدين مصر، وبها تعلم الطب والفلسفة، وكان عمره حينئذ أربعًا وعشرين سنة، ودأب على التعلم والاجتهاد فى تحصيل العلوم، حتى بلغ الثانية والثلاثين من عمره، واشتهر فيها بالطب، وعظم تكسبه عنه، وخدم الحاكم بأمر الله، وجعله رئيسًا على سائر المتطببين. وكانت دار على بن رضوان بمصر القديمة فى قصر

الشمع. وكان كثير الرد على من كان يعاصره من الأطباء وغيرهم، وعلى كثير ممن تقدمه. وتوفى سنة ٤٥٣ بمصر. ومن كلامه:

"إذا دعيت إلى مريض، فأعطه ما لا يضره، إلى أن تعرف علته، فتعالجها عند ذلك، ومعنى معرفة المرض هو أن تعرف من أى خلط حدث أولا، ثم تعرف بعد ذلك فى أى عضو هو، وعند ذلك تعالجه".

- **أبو الحسن سعيد بن هبة الله الطبيب البغدادى:**

كان طبيبًا فاضلاً كاملاً. كان موجودًا سنة ٤٨٩ هـ، ومن كلماته:

"ما تكبّر أحد إلا لنقصان يجده فى ذاته".

- **العنترى أبو المؤيد، محمد بن المجلى بن الصائغ الجزرى:**

كان طبيبًا مشهورًا، وعالمًا حسن المعالجة، جيد التدبير، وافر الفضل، فيلسوفًا، متميزًا فى علم الأدب؛ وله شعر فى الحكمة وغيرها. ومن كلامه:

١- الجاهل عبد لا يعتق رقه إلا بالمعرفة.
٢- الجاهل سكران، لا يفيق إلا بالمعرفة.
٣- كون الشخص بلا علم كالجسد بلا روح.
٤- من أحب أن ينوه باسمه، فليكثر من العناية بعلمه.
٥- العالم المحروم، أشرف من الجاهل المرزوق.
٦- الجاهل يطلب المال، والعالم يطلب الكمال.

- **ابن باجه:**

أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ، ويعرف بابن باجه، من الأندلس، كان علامة وقته فى العلوم الحكمية، ويعد من الأفاضل فى صناعة الطب، وكان متميزًا فى العربية والأدب، حافظًا للقرآن، متقنا لصناعة الموسيقى، وله تعاليق فى الهندسة، وفى علم الهيئة، تدل على براعته. توفى شاباً بمدينة فاس، ودفن بها. ومن كلامه:

١- الأشياء التى ينفع تعلمها بعد زمان طويل، لا يضيع تذكرها.
٢- حسنّ عملك، تفز بخير من الله سبحانه.

- **عبد أيشوع بن يوحنا المتطبب:**

كان حكيمًا كاملاً فى الحكمة، والغالب عليه صناعة الطب. ومن كلامه:

١- من لم يعرف نفسه فكيف يوثق به فى علم من العلوم.
٢- النفس علامة إذا أقبلت على العلوم، وعمالة إذا أقبلت على السياسات.

▪ **أحمد بن عبد المنعم الحكيم البغدادى:**

كان حسن المعرفة بالأدب والطب، توفى عام ٦٢٣هـ. ومن شعره:

إذا لم أجد لى فى الزمان مؤانسًا جعلت كتابى مؤنسى وجليسى

وأغلقت بابى دون من كان ذا غنى وأمليت من مال القناعة كيسى

▪ **سعد بن أحمد بن إبراهيم بن ليون التجيبى:**

هو أبو عثمان، الفقيه الجليل، الأستاذ المصنف، الطبيب الأعرف الماهر؛ من أجل علماء الأندلس وأبرعهم تأليفا؛ له تصانيف عدة فى فنون كثيرة، لاسيما كتب الطب والحكمة والأدب نحو ثلاثين تأليفا، نثرًا ونظمًا. ومن شعره:

لا تقبل الحكم على بلدةٍ نشأتَ فيها إنه يُحقَدُ

رياسةُ المرء على الأهل والجيران والخُلاَّن لا تُحمَد

▪ **الحكيم على المنادلى النيسابورى:**

كان حكيمًا، عالمًا بدقائق الحكمة، ممارساً لصناعة الطب فى أسمى صورها ومن كلامه:

١- هذا زمان فقدنا فيه ما كان يوحشنا فقدُه، ووجدنا فيه ما يضرنا وجوده.
٢- ثمرة العلم حلوة، والنفقة فيها مستخلفة.

▪ **يحيى النحوى الديلمى:**

وهو غير النحوى الإسكندرانى الملقب بالبطريق. كان من القدماء، نصرانيا فيلسوفا، بارعا فى الممارسة الطبية. ومن كلامه:

١- ليس منا من لم يعمل فى صدر نهاره لدنياه، وفى آخره لعقباه.
٢- من عرف فضل من هو فوقه، عرف فضله من هو دونه.

خامسًا: مرجعية رواد مدرسة قصر العينى الطبية

لقد كان لرواد مدرسة قصر العينى الطبية صدى كبير فى إرساء حضارة طبية ممتدة ومتواصلة، وأكبر الأثر فى أن نستمد منهم ما يعين على استمرارية رسالتهم وحيوية إبداعهم، الأمر الذى يمثل لنا معينا لا ينضب من فيوضات الطب والأخلاق والسلوكيات.

أ ــ كان الأطباء الخريجون يقسمون "عهد الأطباء" قبل مزاولة المهنة.

وهو خلاصة أخلاقيات مدرسة قصر العينى الطبية.

هذا عهد الأطباء

أقسم بالله العظيم ونبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم على أنى أكون أمينًا حريصًا على شروط الشرف والبر والصلاح في تعاطي صناعة الطب وأن أسعف الفقراء مجانا ولا أطلب أجرة تزيد عن أجرة عملي وإني إذا دخلت بيتًا فلا تنظر عيناى ماذا يحصل فيه ولا ينطق لسانى بالأسرار التى يأتمنونى عليها ولا أستعمل صناعتى فى إفساد الخصال الحميدة ولا أعاون بها على الذنوب ولا أعطى اسمًا البتة ولا أدل عليه ولا أشين به ولا أعطى دواء فيه ضرر على الحوامل ولا إسقاطهن وأكون موقرًا حافظًا للمعروف مع الذين علمونى ومكافئًا لأولادهم بتعليمى إياهم ما تعلمته من آبائهم فما دمت حريصًا على عهدى وأمينًا على يمينى فجميع الناس يعتبرونى ويوقرونى وإن خالفت ذلك فأكون المرذل المحتقر والله شهيد على ما أقول.

ب ـ نصائح جيل رواد المدرسة الطبية لمن يريد الالتحاق بمدرسة الطب ١٩١٧:

إن الذى يبت فى اختيار المدرسة العالية التى سيلتحق بها إنما يضع الحجر الأساسى فى بناء مستقبله فيلزمه أن يكون عالماً بجميع احتياجات ذلك البناء حتى يتم، ولا يجوز له أن يضع ذلك الحجر قبل أن يتحقق هذا الشرط، والحازم من فكر فى عواقب الأمور وعرف حقيقة الطريق التى سيسلكها قبل أن يخطو فيها خطوة واحدة.

إننا بطبيعة الحال نغتبط ونسر إذا رأينا من شبابنا ميلاً لاختيار الطب صناعة لهم لأن البلاد متعطشة إلى الأطباء وحاجتها شديدة إلى منقذى أزواج أبنائها، ولكن لا يسر هذه الحاجة إلا الأطباء الحقيقيون لا أطباء الضرورة والصدفة. فيجب أن لا يدخل مدرسة الطب إلا من كان عنده الاستعداد الذى يؤهله لأن يصبح من الفريق الأول لا من الفريق الثانى.

أما من عرف فى نفسه عدم وجود هذا الاستعداد فخير له ولبلاده وأمته أن يسلك سبيلاً آخر ويتخير صناعة توافق ما لديه من استعداد وكفاءة. ولا يتوهمن أحد أن فى مقدرة كل إنسان أن يصير يومًا ما طبيبًا فهذا وهم باطل، إذ إن لكل صناعة استعدادات خاصة ورجالاً مخصوصين وليس الميل الشخصى بكاف وحده فى مثل هذه الشئون.

الطب صناعة شريفة جليلة يتمنى كل امرئ أن يحترفها حتى يحصل على هذا الشرف ويصبح فى زمرة منقذى الأرواح، ولكن بجانب هذا الشرف العظيم وذلك المركز السامى توجد مصاعب جمة يجب تحملها، فالإنسان متى أصبح طبيبًا يجب أن يعلم بأنه لم يعد حرًا يتصرف فى نفسه ووقته كيف يشاء، بل هو ملك غيره وتحت تصرف أى مريض يحتاج إليه ليلاً أو نهارًا، صباحًا أو مساء.. يتعب فى الوقت الذى يستريح فيه سواه، ويستيقظ فى الساعة التى ينام فيها آخرون.

فضلاً عن أن صناعة الطب تعرض صاحبها لكثير من الأخطار بسبب العدوى وغيرها، وكم من أطباء ذهبوا شهداء الواجب، وما مثل الطبيب وهو يعالج كثيرًا من الأمراض إلا كمثل الجندى فى ساحة القتال.. معرض لأن تصيبه رصاصة أو شظية من قنبلة فيسقط قتيلاً.

الطب يتطلب رجلاً مثابرًا على العمل دقيقًا فيه يعرف الجلد والصبر، فمن

ينقصه شيء من هذه الصفات يصعب عليه النجاح فى صناعته.

ويجب على من يريد اختيار الطب حرفة له أن يعلم أن الدراسة لا تنتهى بانتهاء سنى المدرسة الطبية، بل إنها طويلة جدًا ليس لها نهاية إلا بانتهاء الحياة، فالطبيب الذى يبغى إرضاء ضميره والقيام بواجبه وخدمة نفسه وأمته يجب أن يضع نصب عينيه أنه فى حاجة ماسة إلى الاستزادة من العلم، لأن الطب يرقى بسرعة ويسير إلى الأمام بخطوات واسعة فهو كالبحر مهما اغترف منه الإنسان لا ينفد.

أما الذى يخيل إليه أن صناعة الطب مقصورة على تلك الدائرة الضيقة من المعلومات التى تلقاها فى المدرسة الطبية فإنه يجنى على نفسه وعلى مرضاه أكبر جناية.

فيتعين من هذا كله أن صناعة الطب شاقة جدًا وتتطلب عملاً وتعبًا، فيجب على من يريد الاشتغال بها أن يكون قوى البنية، سليم الحواس، يستطيع تحمل هذه المشاق، ولا يحول ضعفه دون القيام بواجب مهنته حق القيام.

وليس الطب من الصناعات التى تنتج ثروة كبيرة كبعض الحرف والأعمال الأخرى، لأن الطبيب الذى يعرف واجبه مطالب بالإنفاق الكثير فى سبيل الاحتفاظ بكرامة مهنته، وبالتوسع فى معلوماته بكل الوسائل المؤدية لذلك.

ولكنه من جهة أخرى يضمن للمشتغل به أن يعيش عيشة رغيدة دائمة فهو حائل دون الفقر وشظف العيش كما أنه لا يجلب لصاحبه الثروة الطائلة.

ولا جدال فى أن الطبيب عند تخرجه فى المدرسة لا يستطيع أن يجد من أول يوم عملاً يقوم بنفقات معيشته، بل يجب عليه أن ينتظر سنين لتحقيق هذا الغرض، ومن أجل ذلك يلزم أن يكون الطالب الذى يرغب فى دخول مدرسة الطب صاحب إيراد قليل يكفيه للإنفاق مدة الدراسة وبعد أن يتخرج بقليل من الزمن، وإذا كان هذا الشرط غير متوفر فإنه يضطر بعد التخرج إلى الالتجاء لطرق يحصل بها على نفقات معيشته ولا يمكنه أن يفكر إلا فى الكسب فلا يعنى بتعليم ولا بدرس ولا استزادة معلوماته.

تلك هى الصفات والشروط المادية التى يجب أن تكون موجودة عند من يريد دخول مدرسة الطب. وهناك شرط خلقى لا يجوز إغفاله وهو أن يكون للطبيب نفس شيقة عالية متحلية بمكارم الأخلاق لأنه مؤتمن على أسرار الناس وأسرار عائلاتهم، مؤتمن على الأعراض، مؤتمن على كل شيء نفيس لديهم، فمن عرف فى نفسه صفات غير التى أتينا عليها فى هذا الشأن فعليه أن يبتعد كل الابتعاد عن هذه الصناعة، وإلا كان ضربة قاضية على الأخلاق والآداب وعلى الطب والأطباء.

هذا ما أردنا بيانه ليعلم شبابنا حقيقة الصناعة التى سيكونون من رجالها، ولا ريب فى أننا لا نريد أن نثبط هممهم بأى حال من الأحوال وإنما نريد أن يعلموا فوائد الطب ومتاعبه فى وقت واحد، حتى إذا اشتغلوا به كانوا على معرفة تامة بشئونه، فذلك خير مما إذا أقدموا عليه وهم لا يدرون من أمره شيئًا.

ولا شك أن كثيرًا من شبابنا لديهم من الصفات والاستعداد ما يؤهلهم للاشتغال بهذه الصناعة فمن هؤلاء وحدهم نطلب الالتحاق بمدرسة الطب أما غيرهم فيحسن بهم أن يتخيروا طريقًا آخر فربما نجحوا فيها إذا هم سلكوها. وقيمة كل امرئ ما يحسنه (المجلة الطبية المصرية ١٩١٧م).

جـ ـ وصايا الدكتور على باشا إبراهيم رئيس الجمعية الملكية الطبية المصرية فى عام ١٩٤١.

إذا كان لى من السن ما يأذن لى بأن أزود أبنائى فى هذا المقام ببعض الوصايا، فإننى أكتفى الآن منها بعشر، وإن كانت دواعى العلم الحديث تستدعى منها الكثير:

١- ينبغى أن نجعل نصب عيوننا أن العلم هو المقياس الوحيد لقيام هذه الدار.
٢- أن ننسى فى مجادلاتنا ومحاوراتنا ومعاملاتنا كل عامل شخصى.
٣- كذلك نسقط فى كل أولئك كل فارق جنسى.
٤- ونهدر كل فرق طائفى.
٥- ولا ندخل فى حسابنا أى اختلاف دينى.
٦- ولا نجعل لاختلاف الأهواء السياسية أى اعتبار فى مقاصدنا الجسام.
٧- ومن أجل ما ينبغى ألا نغفل عنه لحظة واحدة: المحافظة على شرف

المهنة. ولا شك أننا فى هذا المعنى متضامنون فكل إخلال من أحدنا إنما نلصق وصمته بالجميع.

٨- ومن الواجب أن أذكر أنه لولا تضامن الأفراد ما قام عمل له قيمة ولا بلغت الجماعات ما تبلغ، ولا كان لها من الشأن هذا الذى يدعو إلى الهمة والاحترام، بل هذا الذى يدعو الغير إلى التسليم والإذعان.

٩- فإذا ما سألتمونى عن أبلغ عناصر النجاح فلا شك أنه: المثابرة.

١٠- وإذا سألتم عما يجمع كل هذه الخلال فهو لا ريب: الإخلاص فى الرأى، والإخلاص فى العمل.

المعايير الأخلاقية للتقدم العلمى

١- سلامة إجراء البحوث وأخلاقيات النشر:

هناك مبدآن رئيسان يحكمان أخلاقيات الاختيار للمتطوعين التى تجرى البحوث عليهم: **الأول**: هو حرية المتطوع فى اختيار قراره بالتطوع أو بالامتناع عن التطوع دون أن يشوب هذا القرار شبهة أى ضغط أو خداع أو ابتزاز يقع عليه. والثانى: مبدأ السلامة.

أ ــ إن مستلزمات اتخاذ القرار السليم تعتمد على القدرة على أن يفهم الشخص أنه بصدد اختيار، وأن كل اختيار تترتب عليه نتائج وعلى فهم طبيعة الإجراء المقترح والهدف منه، وفهم مخاطر الإجراء المقترح وما قد يترتب عليه من آثار جانبية، كذلك معرفة بدائل الإجراء المقترح والمخاطر التى قد تترتب على البدائل والنتائج التى تترتب على رفض العلاج، كما يجب عدم التعرض للضغوط.

ب ــ إن المريض المسجون يتمتع بكافة حقوقه وحريته تجاه مشكلته الصحية، ولا يرغم على أخذ دواء أو علاج أو إجراء عملية دون موافقة صريحة منه ودون رضاه رضاء تامًا، ولا بد من احترام حقوقه ورغباته دون أى ضغوط أو تهديد.

جـ ــ لا يجوز إرغام المريض على كتابة إقرار طبى بأى نوع من أنواع التهديد أو

الضغط، ويجب أن تكون كتابته الإقرار بكامل إرادته وسابق معرفته تمامًا بكل خطوات الإجراء الطبى أو العلاج، وأن تتاح له المشورة إذا طلب ذلك.

د ـ سرية المعلومات واحدة من القيم الرئيسة لمزاولة مهنة الطب.

أمانة الباحث:

أ ـ إن أمانة الباحث والاعتراف بالفضل لذويه والعدل فى ترتيب الأسماء المنشورة على البحث تعتبر من أهم القواعد الواجبة الاتباع فى حالة النشر العلمى، ويعتبر الخروج عليها من أهم المحاذير التى لا يجوز الاقتراب منها.

ب ـ القواعد العامة التى يحسن الاسترشاد بها عندما يكون الباحث بصدد توجيه خطابه العلمى إلى جمهور من غير المتخصصين تشمل مراعاة التبسيط فى غير استخفاف بعقول المتلقين خطابه، والاقتصاد ما أمكن فى وصف أعراض الأمراض المختلفة.

٢- نقل الأعضاء أو الأنسجة من المتطوع فى أثناء حياته:

ذلك يقتضى وجود متطوع يهب أحد أعضائه أو جزءًا منه أو بعضًا من أنسجته إلى مريض هو فى أشد الحاجة إلى هذا العضو أو هذا النسيج، ونظرًا لقلة المتطوعين بالنسبة للأعداد المتزايدة من المرضى المحتاجين أصبح من الضرورى تنظيم هذه العملية وذلك بوضع ضوابط تنظيمية وإجرائية، مثل وضع قوائم الانتظار وإعطاء الأولوية للحالات التى هى أشد حاجة إلى العملية، ونقل العضو من أحد الأقرباء، وقد حرمت جميع الدول والمنظمات الدولية الاتجار فى الأعضاء البشرية والأنسجة الإنسانية.

٣- نقل الأعضاء أو الأنسجة من المتوفى:

هناك بعض الأنسجة التى يمكن أن تدوم حيويتها بضع ساعات بعد الوفاة دون تلف فتحتفظ بحيويتها قبل نزعها من جسد المتوفى، مثل قرنية العين وخلايا الجلد، أما الكلية والكبد فلا بد من أخذ العضو من شخص حى متطوع أو أخذ العضو مباشرة بعد الوفاة. ونظرًا للجدل الكبير الذى يدور حول تحديد الوفاة بالمعنى

الإكلينيكى أو الوفاة الحقيقية، فقد رأى البعض عدم سلامة هذه الطريقة فى نقل الأعضاء، إلا أن أغلبية الرأى ترى أنه ما دام هناك تأكد من الوفاة الإكلينيكية ومن أن المتوفى قد سبق وأن أوصى بإقرار مكتوب فى أثناء حياته بتطوعه بأعضاء جسده بعد مماته جاز ذلك دون أى حرج أو إخلال بالأخلاقيات والأعراف. ولإجازة ذلك من الناحية القانونية والأخلاقية يجب أخذ إقرار مكتوب من المتطوع أو كتابة وصية يقر بها المتبرع بأعضائه كلها أو بعضها لخدمة المرضى المحتاجين، على أن تتبع الشروط والمواصفات الخاصة بكتابة الإقرار دون إكراه أو إيحاء أو تشجيع أو مكافأة مادية بأى صورة من الصور، ولا بد أن يخضع المتطوع للفحص الإكلينيكى والمعملى الذى يؤكد خلوه من أى مرض قد ينقل للشخص المتبرع له مثل ذلك مرض نقص المناعة المكتسب أو الالتهاب الكبدى الفيروسى.

٤- علاج العقم والتلقيح الصناعى وأطفال الأنابيب:

لا يجوز إسلامياً زرع جنين فى رحم سيدة أخرى كأم بديلة. كما يحظر إخصاب بويضة لزوجة بواسطة حيوان منوى من شخص آخر غير زوجها. وفى حالات أطفال الأنابيب فإن المتخصص المعالج يخصب عدة بويضات من الزوجة بحيوانات منوية من الزوج فى آن واحد حتى يوفر للمعالج انتقاء أجود البويضات المخصبة (الأجنة) لزرعها فى رحم الزوجة بعد ذلك وما تبقى من هذه الأجنة التى تزيد على الحاجة يتم إتلافها عمداً. إلا أنه فى الآونة الأخيرة بعد تقدم بحوث الخلايا أصبح فى الإمكان استخدام ما تبقى من بويضات مخصبة (أجنة) واستكمال زراعتها معمليا لأخذ الخلايا الجذعية لاستخدامها كأنسجة تعويضية لأعضاء تزرع فى مرضى محتاجين إليها، ولذلك فلا بد أن يأخذ الطبيب إقراراً من الزوجين ينص فيه على إمكان استخدام هذه الأجنة الزائدة على الاحتياج لأغراض أخرى.

إن التقدم العلمى المتسارع جعل من المستطاع التحكم فى اختيار الجنس المفضل من أطفال الأنابيب، وكذلك التدخل الجينى لتغيير بعض الصفات المورفولوجية، وهذا قد يتيح للزوجين أن يختارا المولود ذا الجنس المفضل لإحدهما أو لكليهما مما يزيد سعادتهما ورضاءهما، ولكن ذلك قد يؤدى فى

بعض المجتمعات إلى خلل ديموجرافى يؤثر فى التوازن الاجتماعى.

٥- التعامل مع العينات والأنسجة:

ومع التقدم التكنولوجى والتكنولوجيا الحيوية أصبح التعامل مع العينات والأنسجة يتيح تشخيصًا أكثر دقة؛ يساعد إلى درجة عالية على اختيار أفضل سبل العلاج، بالإضافة إلى تجميع بيانات عديدة تستخدم فى التقدم العلمى، وأصبحت العينات الباثولوجية التى أخذت منذ أزمان بعيدة نسبيًا (محفوظة فى أرشيف المعامل المتخصصة والمستشفيات) قد يعاد فحصها فى ظل التكنولوجيا الجديدة للاستزادة من المعرفة وطبيعة المرض، لذلك فالعينات الموجودة فى أرشيف أقسام الباثولوجيا وغيرها من مراكز علمية هى مادة ذات قيمة علمية كبيرة، ولكن ذلك قد يثير تساؤلات تختص بقيم وأخلاقيات البحوث الطبية، مثلا: هل من الجائز استخدام العينات المخزونة فى أرشيف المستشفيات أو المعامل لأغراض جديدة لم يخطر بها المريض الذى أخذت منه العينة أو الطبيب الذى تولى علاج هذا المريض؟ وهل يمكن أن يؤدى استخدام هذه العينات كمادة للبحوث الطبية إلى ضرر لمن لهم علاقة بالعينة؟ وهل من الجائز استخدام عينات معروفة المصدر أو مجهولة المصدر؟ المسجلة أو غير المسجلة؟

وفى ظل التقدم العلمى الراهن وما هو متوقع فى المستقبل من آفاق جديدة، فإنه يتحتم على كل طبيب ــ عند أخذ عينة من مريض ــ أن يطلب منه إقرارًا كتابيًا عن رغبته فى التعامل مع العينة خارج الحدود المطلوبة للتشخيص أو العلاج، وأن يعرف مسبقًا ما إذا كانت العينة سيتم التعامل معها بالأسلوب المعملى العادى أم سيتم حفظها مجمدة لبحوث مستقبلية أخرى قد تهمه أو لا تهمه عند متابعة مرضه.

٦- أهداف وضوابط للبحوث المستقبلية:

- الارتفاع بصحة ورفاهة الإنسان من خلال البحوث التكنولوجية الحيوية.
- الحفاظ على حقوق وخصوصيات ورغبات المانحين العينات الذين يسعون إلى إهدائها لمعامل البحوث لزيادة المعرفة والتقدم العلمى.

- الحفاظ على سرية سجلات المرضى وسجلات العينات الباثولوجية.
- وضع دليل إرشادى لبحوث التكنولوجيا الحيوية للعاملين فى البحوث ومساعديهم وللأطباء، وموضحًا به الأبعاد المختلفة العلمية والأخلاقية والاجتماعية والقانونية والسياسية التى تحيط ببحوث التكنولوجيا الحيوية.
- وضع القواعد الخاصة بتحديد الأضرار التى قد تحدث نتيجة تلك البحوث، سواء على المرضى أصحاب العينات أو على الفئات الأخرى المتعلقة التى قد يضرها نشر نتائجها.
- رصد جميع البيانات الخاصة بالعينات والبحوث التى تتم عليها فى سجلات تحفظ لمدة لا تقل عن عشر سنوات.
- إيجاد آليات لمتابعة ما يتم فى مراكز البحوث والمعامل وإعطاء تراخيص خاصة لمن يقوم ببحوث متقدمة فى مجال التكنولوجيا الحيوية.
- معرفة مصادر تمويل بحوث التكنولوجيا الحيوية وجعلها معلنة.

٧- استخدام الخلايا الجذعية فى العلاج:

كان للإنجاز العلمى الخاص باستنساخ النعجة دوللى فى ٢٣ من فبراير ١٩٩٧ دوى كبير فى الأوساط العلمية والطبية والاجتماعية والدينية، فقد انتقل الخيال العلمى فى هذا المجال وذلك التخصص إلى واقع، ربما أدى إلى مخاطر غير مدروسة فى المستقبل القريب مما يهدد أمن وسلامة البشرية.
الخلايا الجذعية هى خلايا متميزة وحيوية لكل كائن حى فى المملكة الحيوانية. وهناك أنواع متعددة من الخلايا الجذعية كل منها مخصص لوظيفة معينة؛ بمعنى أن كل نوع يمكنه التحول لإمداد الجسم أو النسيج بخلايا نوعية محددة.
إن الخلايا الجذعية توجد فى الأنسجة وأعضاء جسم الإنسان الراشد لعمليات الإحلال، ولكن هناك خلايا جذعية أنشط توفر بشكل أفضل فى أنسجة الجنين خاصة فى أولى مراحل تكوينه.

والخلايا الجينية والتى تتكون من انقسام البويضة المخصبة تستطيع أن تشكل

إلى كافة أنواع الخلايا إذا ما هيئت لها الشروط المعملية المناسبة، بالإضافة إلى إمكان تكوينها جنيناً كاملاً إذا ما زرعت فى وسط معملى مناسب ثم وضعت فى رحم سيدة.

إن مصادر خلايا الجذع والخلايا الجرثومية البشرية هى:

- الخلايا الجينية المأخوذة من نسيج الجنين عند بدء انقسام البويضة الملقحة فى الأسبوع الأول من الحمل نتيجة إجهاض.
- الخلايا الجينية الناتجة من التلقيح الصناعى للبويضة خارج جسم الإنسان.
- الخلايا الجينية الناتجة من التلقيح الصناعى للبويضة بغرض البحث العلمى أو إنتاج أنسجة.
- خلايا مأخوذة من جنين نتيجة استنساخ.
- خلايا جذعية مأخوذة من جنين تكون فى حالات الإجهاض الواقع بعد تشكيل الجنين (عدة أسابيع أو أشهر).

إن الغالبية العظمى من العلماء يرون أن الحكم على صلاحية هذه البحوث أو عدم صلاحيتها يتوقف أساسًا على مصدر هذه الخلايا الجذعية؛ فإذا كانت منزوعة من جنين فارق الحياة بعد إجهاض طبيعى فإن ذلك يعامل معاملة أى نسيج أو خلايا مأخوذة من إنسان مكتمل فارق الحياة ويخضع لكل المعايير الخاصة بذلك، أما إذا كان جنينًا حيًا فلابد أن ننظر إلى اعتبارين: أولهما: أن يكون الباحث قد استخدم بويضة خصبت من أجل البحث العلمى أو للاستخدام الإكلينيكى المجرد وهذا يعتبر مرفوضًا وغير أخلاقى، وثانيهما: أن يكون البحث قد تناول جنينًا نتيجة إخصاب بويضة خارج الجسم ضمن عدة بويضات أخرى أخصبت لاختيار أفضلها لعلاج العقم عند بعض السيدات واستغنى عنها بعد زرع البويضات الملقحة أو الجنين داخل رحم السيدة، وذلك قد يبدو غير مرفوض ولكن يستدعى مزيدًا من التفكير والدراسة. ولهذا يرى البعض أن استخدام هذه البويضات المخصبة أو الجنين فى أيامه الأولى ستكون له منفعة عامة لعلاج بعض الحالات المستعصية التى

تحتاج لخلايا جـذعية. وفى كل هذه الأحوال التى تستخدم فيها خلايا جذعية أو جرثومية ــ سواء من مريضة معرضة لإجهاض أو فى حـالات أطفـال الأنابيب ــ فمن الضرورى أخذ إقرار من الوالدين (الأم والأب) بتبرعهمـا بمحض إرادتهما واختيارهما بذات الطريقة التى يوافقان عليها فـى معاملـة الجنين الذى فارق الحياة أو البويضات المخصبة الزائدة على حاجة العـلاج. وفى نفس الوقت يخير الوالدان فيما إذا كانـا يريـدان أن يخـزن الجنـين المخصب أو الجنين بعد الإجهاض الذى فارق الحياة بطريقة التبريد (التجميد) لاحتمال استخدامه مستقبلاً في البحث أو العلاج. هـذا ولابـد مـن حظـر الإجهاض بغرض استغلال الجنين تجاريًا وعرضه للبيع.

ومن المحتم إنشاء جهة قومية تقوم بمراجعة جميع بروتوكولات البحوث الخاصة بالخلايا الجذعية والأجنة أو البويضات المخصبة، وأن يكون لهـذه الجهة حق متابعة ومراقبة مراكز البحوث والخدمات والمعامل التى تقوم بهذه التجارب أو بهذه الخدمات العلاجية، كما يجب أن تكون هناك لجـان للقـيم وأخلاقيات المهنة فى كل معهد أو مركز أو مستشفى تعرض عليـه جميـع البروتوكولات البحثية أو العلاجية لهذا النوع من الخدمات أو البحوث للنظر فى مدى ارتباطها بالقيم والأخلاقيات.

أحكام شرعية فى مسائل طبية

حفلت العديد من النصوص الدينية بأحكام قاطعة لمشكلات عديدة ألزمت المؤمنين بالأخذ بها، مثل: موقف الشريعة من الإسراف فى الطعام والشراب، ومن الإسراف فى الإنفاق، ومسألة الخلق والوفاة، وحكم الدين فى صور الإنجاب المستحدثة، وفى طرق التلقيح واختيار جنس الجنين والإجهاض وما إلى ذلك.. وارتكز الأطباء على ما عرفوه فى هذا الشأن فأوصوا بالاعتدال فى الطعام والشراب حفاظاً على البدن، وأوصوا المرضى بضرورة الأخذ بالعلاج بما لا يتعارض مع قواعد الشريعة، وطاعة للأحكام النبوية (تداووا ولا تتداوا بحرام).

كما حث الدين على الأخذ بالمنهج العلمى، وأعلى مكانة العلماء ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ (فاطر: ٢٨) ويسر لهم سبل العلم، بل حث الأفراد على طلب العلم من أية دولة وفى كل زمان، وحضور الندوات التى تطرح أحدث سبل العلاج فى العديد من التخصصات الطبية.. يقول النبى ﷺ: "اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد".

غير أن هناك أحكامًا شرعية بنيت على غلبة الظن، وهل يأثم الطبيب إذا ما ترك المريض بغير علاج، أو بيّن له خطورة ما عليه، وحجم ما يعود عليه من ضرر إذا ظن أن ترك العلاج لا إثم فيه.. كل هذا وغيره من الحقائق العلمية الطبية المعاصرة استدعت إدلاء الفقهاء بالرأى حول عدد من المشكلات الطبية التى ظهرت مؤخرًا وثارت حولها الأقاويل، واحتار الناس بشأنها.. فى مقدمتها موقف الإسلام من إنهاء الحمل ناقص الخلق أو ناقص المدة، ومن أطفال الأنابيب، ومتى يحكم بموت الإنسان، وقتل الرحمة، وزرع الأعضاء.. إلى غير ذلك من الأمور التى تستدعى معرفة رأى العلماء والفقهاء حولها.. حتى يتقرر للأطباء مدى الجواز من عدمه، كى لا يظن ظان بأن الطبيب لا يلتزم بالأخلاقيات الطبية وهو يجهض حاملاً فى زمن محدد من الحمل، أو ليس من حقه زراعة عضو هو أحوج ما يكون إلى وجوده.. إلى آخر ما تتطلبه البحوث العلمية من أحكام.

وفيما يلى نورد عددًا من الأحكام الشرعية فى بعض المسائل الطبية؛ درءًا للشبهات ودفعًا للمحظورات.. لا سيما ما انتهى إليه مجمع الفقه الإسلامى من

مشروعية العلاج والتداوى والأخذ بالرأى العلمى فى الأمور السابق الإشارة إليها وما طرحه الدكتور أسامة العبد أستاذ الشريعة من آراء كلف بوضعها من المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بدولة الكويت. يقول الله تعالى:
﴿اقْرَأْ باسْمِ ربِّكَ الَّذي خلق{١} خلق الإنسانَ منْ علق{٢} اقْرَأْ وربُّكَ الأكْـرمُ{٣} الَّذي علَّمَ بالْقَلَمِ{٤} علَّمَ الإنسان ما لَمْ يعْلَمْ{٥}﴾ (العلق: ١-٥).

وقوله تعالى معلما نبيه: **﴿وقُل رَّبِّ زِدْنِي علْماً{١١٤}﴾** (طه: ١١٤).

ومن السنة قوله ﷺ: "**اللهم انفعنى بما علمتنى وعلمنى ما ينفعنى وزدنى علما**" (رواه ابن ماجه والترمذى). والبحث العلمى مطلوب شرعا.

الحديث: "**اللهم إن أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها**" (رواه مسلم حديث رقم: ١٨٧١).

١- التداوى:
ومن النصوص الواردة فى مشروعية التداوى قوله تعالى: **﴿ونُنزِّلُ من الْقُرْآن ما هُو شفاء ورحْمةٌ لِّلْمُؤْمنين﴾** (الإسراء: ٨٢).

قوله تعالى: **﴿يخْرُجُ من بُطُونها شرَابٌ مُّخْتلفٌ أَلْوانُهُ فيه شفاء للنَّاس﴾** (النحل: ٦٩).

عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال: "الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء" أخرجه البخارى (٤/٤٠ج٥٧٢٥) كتاب الطب. باب الحمى من فيح جهنم. ومسلم نحوه (٤/١٧٣٢ح ٢٢١٠) كتاب السلام. باب لكل داء دواء، واستحباب التداوى.

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا عاد مريضا يقول: "أذهب البأس رب الناس، اشف أنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما" أخرجه البخارى (٤/٤٤ج٥٧٤٣).

فقال: "تداووا، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد الهرم" أخرجه أبو داود واللفظ له (١٠/٣٣٤ح ٣٨٣٧).

قول النبى ﷺ: "لا ضرر ولا ضرار" (الحاكم) وقال: "حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم". ووافقه الذهبى (٢/ ٥٧-٥٨)".

وقوله ﷺ: "ما أنزل الله داء إلا وأنزل له شفاء (أخرجه البخارى)

وقوله ﷺ: "إن الله تعالى أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام" (رواه أبو داود والطبرانى).

وقوله ﷺ: "لكل داء دواء فإذا أصاب دواء الداء بإذن الله تعالى" (رواه مسلم). وسأل الأعراب رسول الله ﷺ: "يا رسول الله أنتداوى؟ فقال" تداووا فإنه لم يضع داء إلا وضع له دواء غير الهرم".

قال الغزالى فى كتابه فاتحة العلم: إن علم الطب فرض كفاية وأنه لا يجوز ترك المداواة.

هذا ما انتهى إليه مجمع الفقه الإسلامى، بقوله: "الأصل فى حكم التداوى أنه مشروع، لما ورد فى شأنه فى القرآن الكريم والسنة القولية والعملية، ولما فيه من (حفظ النفس) الذى هو أحد المقاصد الكلية من التشريع. وتختلف أحكام التداوى باختلاف الأحوال والأشخاص: "فيكون واجبًا إذا كان تركه يفضى إلى تلف نفسه أو أحد أعضائه أو عجزه، أو كان مرض ينتقل ضرره إلى غيره، كالأمراض المعدية. ويكون مندوبًا إذا كان تركه يؤدى إلى ضعف البدن ولا يترتب عليه ما سبق فى الحالة الأولى. ويكون مباحًا إذا لم ينحرج فى الحالتين السابقتين. ويكون مكروهًا إذا كان بفعل يخاف منه حدوث مضاعفات أشد من العلة المراد إزالتها" (مجلة مجمع الفقه الإسلامى ع ٧ ج٣ ص٧٣١).

بالنسبة العلاج الواجب: فالأحكام الشرعية مبنية على غلبة الظن، وأن المرض إذا لم يعالج سيؤدى إلى التهلكة أو إلى تلف عضو من الأعضاء أو الإعاقة الدائمة أو أن المرض معد وسيؤدى إلى إصابة الآخرين إذا لم يعالج.

قرار المجمع الفقهى رقم ٧/٥/٦٨ بتاريخ من ٧ إلى ١٢ ذو القعدة ١٤١٢هـ.

وهو هل يأثم الطبيب بترك المريض مصرًا على رأيه بعدم العلاج الواجب؟ فللعلماء قولان:

ـ أنه لا يأثم إذا بين للمريض أو وليه خطورة عدم العلاج وما يترتب عليه.

ـ أنه لابد من إبلاغ الوالى (السلطة) وأن الإثم لا يرتفع بمجرد البيان للمريض.

والراجح والله أعلم أنه إذا كان إبلاغ السلطات متناولاً أو من السهل القيام به فالبلاغ واجب، أما إذا كان ذلك متعسرًا فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، ولعل فى بيان خطورة الأمر للمريض أو وليه رفعًا للحرج والإثم، والله أعلم.

التراكمات "لا ضرر ولا ضرار".

وموقفنا نحن المسلمين من منهج البحث العلمى واضح لا لبس فيه، فقد كرم الله الإنسان وجعله خليفته فى الأرض وحثه على العلم وعلى تدبر خلق الله وآياته، وخص سبحانه وتعالى العلم بأعلى مكانة فى قرآنه الكريم حيث قرنه بصفاته جل جلاله...

٢- اختيار جنس الجنين

وقد انقسم الفقهاء المعاصرون فى حكم اختيار جنس الجنين، فالذين حرموا هذه المسألة استشهدوا بقول الله سبحانه وتعالى: **﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ{٤٩} أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾** (الشورى: ٤٩، ٥٠) وفى توصية ندوة الإنجاب فى ضوء الإسلام ذكر العلماء ما يلي: اتفقت وجهة النظر الشرعية على عدم جواز التحكم فى جنس الجنين إذا كان ذلك على مستوى الأمة، أما على المستوى الفردى فإن محاولة تحقيق رغبة الزوجين المشروعة فى أن يكون الجنين ذكرًا أو أنثى بالوسائل الطبية المتاحة لا مانع منه شرعًا عند بعض الفقهاء المشاركين فى الندوة، فى حين رأى غيرهم عدم جوازه خشية أن يؤدى ذلك إلى طغيان جنس على جنس وحرمان البشرية من جنس هم فى أشد الحاجة إليه. مع ملاحظة أن الذين أجازوا اشترطوا أن يأخذ الأطباء بأقصى ما يمكن من الاحتياط".

﴿وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الحج: ٥).

﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ (الشورى:٤٩، ٥٠).

﴿إنّ اللّه عندهُ علْمُ السّاعةِ وينزّلُ الْغيْث ويعْلمُ ما في الأرْحام وما تدْري نفْسٌ ماذا تكْسبُ غداً وما تدْري نفْسٌ بأيّ أرْض تمُوتُ إنّ اللّه عليمٌ خبيرٌ﴾ (لقمان: ٣٤).

﴿وإذا بُشّر أحدُهمْ بالأُنثى ظلّ وجْهُهُ مسْوداً وهُو كظيمٌ يتوارى منَ الْقوْم من سُوء ما بُشّر به أيُمْسكُهُ على هُون أمْ يدُسّهُ في التّراب ألا ساء ما يحْكُمُون﴾ (النحل: ٥٨، ٥٩).

﴿ويسْألُونك عن الرّوح قُل الرُّوحُ منْ أمْر ربّي وما أُوتيتُم منَ الْعلْم إلاّ قليلاً﴾ (الإسراء: ٨٥).

﴿فإذا سوّيْتُهُ ونفخْتُ فيه من رُّوحي فقعُواْ لهُ ساجدين﴾ (الحجر: ٢٩).

﴿للّه مُلْكُ السّماوات والأرْض يخْلُقُ ما يشاءُ يهبُ لمنْ يشاءُ إناثاً ويهبُ لمن يشاءُ الذّكُورَ أوْ يُزوّجُهُمْ ذُكْراناً وإناثاً ويجْعلُ من يشاءُ عقيماً﴾ (الشورى: ٤٩، ٥٠).

﴿فهبْ لي من لّدُنك وليّاً{٥} يرثُني﴾ (مريم: ٥، ٦).

﴿هُو الّذي يُصوّرُكُمْ في الأرْحام كيْف يشاءُ﴾ (آل عمران: ٦).

﴿ولا تقْتُلُواْ أوْلادكُم منْ إمْلاق نّحْنُ نرْزُقُكُمْ وإيّاهُمْ﴾ (الأنعام: ١٥١).

﴿ولا تقْتُلُواْ أوْلادكُمْ خشْيةَ إمْلاق نّحْنُ نرْزُقُهُمْ﴾ (الإسراء: ٣١).

﴿ألمْ يكُ نُطْفةً منّ منيٍّ يُمْنى{٣٧} ثُمّ كان علقةً فخلقَ فسوّى{٣٨} فجعل منْهُ الزّوْجيْن الذّكر والأُنثى{٣٩}﴾ (القيامة: ٣٧-٣٩).

﴿واللّهُ جعل لكُم منْ أنفسكُمْ أزْواجاً وجعل لكُم منْ أزْواجكُم بنين وحفدةً ورزقكُم منّ الطّيّبات﴾ (النحل: ٧٢).

٣- الإجهاض

وهو إلقاء الحمل ناقص الخلق أو ناقص المدة (لسان العرب مادة جهض — ولا يخرج استعمال الفقهاء لكلمة إجهاض عن هذا المعنى).

من المعلوم أن حرمة الحياة مقررة فى الإسلام وينسدل هذا على الجنين، وهناك من الفقهاء من فرق بين حكم الإجهاض بعد نفخ الروح، وبين حكمه قبل النفخ بعد التكون فى الرحم والاستقرار.

المرفوع أن رسول الله ﷺ قال: "إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح" (حديث متفق عليه ــ اللؤلؤ والمرجان ١٩٠٦).

وقد اختلف الفقهاء فى حكم الإجهاض قبل نفخ الروح، فمنهم من قال بالإباحة مطلقًا وهو رأى بعض الحنفية إذ ذكروا أنه يباح الإسقاط بعد الحمل ما لم يتخلق شيء منه، ويقصد بالتخلق عندهم نفخ الروح وقال به بعض المالكية والشافعية والحنابلة قبل الأربعين.

ومنهم من قال بالكراهة مطلقًا وهو رأى على بن موسى من الحنفية، فقد نقل ابن عابدين عنه أنه يكره الإلقاء قبل مضى زمن تنفخ فيه الروح، لأن الماء بعد ما وقع فى الرحم مآله الحياة، فيكون له حكم الحياة كما فى بيضة صيد الحرم. ومنهم من قال بالتحريم وهو المذهب المعتمد عند المالكية، قال الدردير: (لا يجوز إخراج المنى المتكون فى الرحم ولو قبل الأربعين يومًا).

ومما يجدر ذكره فى هذا المقام قول د/ حسان حتحتوت: أنه قد استقر علميًا أن الجنين منذ بدايته بيضة ملقحة تشرع فى الانقسام والتكاثر فإنه كائن حى ينمو ويتطور بصورة متصلة ناعمة دائمة مستمرة دون أن يوجد خط فاصل له قبل وله بعد يتيحان الأخذ بما اجتهد إليه الأقدمون.

العلة إذا تغيرت لا بد أن يتغير الحكم، وعلى ما أفضى إليه التقدم العلمى نتأسس حرمة حياة الجنين فى كافة أدوارها.

وهذا الرأى الحديث الذى عول إليه العلم بالملاحظة المباشرة وصل إليه فريق من الفقهاء القدامى عن طريق المنطق والاستدلال، فقالوا إن الجنين حتى قبل نفخ الروح فيه حياة محترمة هى حياة النمو والإعداد لا يجوز إسقاطه، ومن هؤلاء الإمام الغزالى.

هذا وقد خلصت الحقائق العلمية الطبية المعاصرة، والتى بينتها الأبحاث والتقنية الطبية الحديثة، إلى أن الجنين حى من بداية الحمل، وأن حياته محترمة فى كافة أدوارها خاصة بعد نفخ الروح، وأنه لا يجوز العدوان عليها بالإسقاط إلا للضرورة الطبية القصوى.

٤- منع الحمل الجراحى (التعقيم)

التعقيم فيه الحلال وفيه أبغض الحلال وفيه الحرام الحرام.

وقد جاء فى توصيات ندوة الإنجاب:

جواز اللجوء إلى منع الحمل الجراحى على النطاق الفردى للضرورة التى يقدرها الطبيب المسلم الثقة إذا استنفدت الوسائل الأخرى، أما على مستوى الأمة الإسلامية فلا يجوز شرعًا (ندوة الإنجاب ص ٣٥٠).

٥- أطفال الأنابيب

هذا ما انتهت إليه توصية ندوة الإنجاب فى ضوء الإسلام (فقد ذهبت إلى أن طفل الأنابيب جائز شرعًا إذا تم بين الزوجين أثناء قيام الزوجية، وروعيت الضمانات الدقيقة الكافية لمنع اختلاط الأنساب) وهذا ما ذهبت إليه فتوى المجمع الفقهى بمكة المكرمة إذ جاء تحت حكم التلقيح الصناعى: "إن حاجة المرأة المتزوجة والتى لا تحمل وحاجة زوجها إلى الولد تعتبر غرضًا مشروعًا يبيح معالجته بالطريقة المباحة من طرق التلقيح الصناعى، وإن الأسلوب الذي تؤخذ فيه البذرتان الذكرية والأنثوية من رجل وامرأة زوجين أحدهما للآخر، ويتم تلقيحهما خارجيًا فى أنبوب اختبار ثم تزرع اللقيحة فى رحم الزوجة نفسها صاحبة البيضة هو أسلوب مقبول مبدئيًا فى ذاته بالنظر الشرعى لكنه غير سليم تمامًا من موجبات الشك فيما يستلزمه ويحيط به من ملابسات، فينبغى أن لا يلجأ إليه إلا فى حالات الضرورة القصوى" (ندوة الإنجاب ص: ٣٥٠).

وهذا ما انتهت إليه هيئة الفتوى بوزارة الأوقاف الكويتية بقولها: "إن هذه العملية لا مانع منها شرعًا ما دام التلقيح بين الزوجين وما دام الجنين قد تكون فى

رحم صاحبة البويضة، كما رأت أن التلقيح فى الأنبوبة إذا أثر تأثيرًا ضارًا على الجنين يكون حرامًا" (ندوة الإنجاب ص: ٤٨١، ٤٨٠).

٦- الرحم المؤجر:

وهو وضع البيضة الملقحة من ماء الزوج الشرعى فى رحم امرأة ثالثة متطوعة أو مستأجرة (شتل الجنين).

وقد ذكر د/ القرضاوى فى فتواه: "إن قضية الشتل تترتب عليها أمور هى غاية فى الخطورة من الناحية الإنسانية والأخلاقية، ثم قال: إذا كنا نبحث عن مشروعية هذا الأمر من الوجهة الدينية فالذى أراه أن الفقه الإسلامى لا يرحب بهذا الأمر المبتدع، ولا يطمئن إليه، ولا يرضى عن نتائجه وآثاره، بل يعمل على منعه، ثم ذكر أن من أبرز نتائج الشتل إفساد معنى الأمومة كما فطرها الله وعرفها الناس" (الفتاوى ج١ ص ٥٦٨).

العلماء المجتمعون: "واتفق على أن ذلك يكون حرامًا إذا كان فى الأمر طرف ثالث سواء أكان منيًا أم بويضة أو جنينًا أو رحمًا" (ندوة الإنجاب فى ضوء الإسلام، ص ٣٥٠).

٧- البويضات الزائدة:

يرى بعض الفقهاء أن البويضة الملقحة هى أول أدوار الإنسان الذى كرمه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠). فيكون لها حرمتها ولا تعدم، وأن المختار لديهم هو تركها وشأنها للموت الطبيعى، فهو أخف حرمة إذ ليس فيه عدوان إيجابى على الحياة (ندوة الرؤية الإسلامية لبعض الممارسات الطبية، ص ٧٥٧).

٨- موت الإنسان

اتفق الفقهاء المعاصرون والأطباء فى المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية على أن الشخص يعتبر ميتًا فى حالة:

- التوقف الكامل الذى لا رجعة فيه لوظائف الجهاز التنفسى والجهاز القلبـــى الوعائى.
- التوقف الكامل الذى لا رجعة فيه لكل وظائف الدماغ بما فى ذلك جذع الدماغ.

فقد جاء فى بيان المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية فى البند رابعًا: أن المعتمد عليه عندهم فى تشخيص موت الإنسان هو خمود منطقـــة المـــخ المنوطـــة بهـــا الوظائف الحياتية الأساسية، وهو ما يعبر عنه بموت جذع المخ.

قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامى المنعقد فى عمان بـــالأردن فـــى أكتـــوبر ١٩٨٦ والذى يحمل الرقم (٥) د ٣/ ٠٧/ ٦ فقد قرر: يعتبر شرعًا أن الشخص قد مات وتترتب جميع الأحكام المقررة شرعًا للوفاة عند ذلك إذا تبينت فيـــه إحـــدى العلامتين التاليتين:

ـ إذا توقف قلبه وتنفسه توقفًا تامًا وحكم الأطباء بأن هذا التوقف لا رجعة فيه.
ـ إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلاً نهائيًا، وحكم الأطباء الاختصاصـــيون الخبراء بأن هذا التوقف لا رجعة فيه وأخذ دماغه للتحليل. ويجب على الطبيب تحرى الدقة المتناهية فى حالة تشخيص الموت وخاصة موت الدماغ؛ حتـــى لا ينقلب قراره إلى حكم بالإعدام وجريمة قتل.

أما بخصوص وقف أجهزة الإنعاش فقد جاء فى بيان المنظمة الإسلامية فى البنـــد سادسًا:

"بناء على ما تقدم اتفق الرأى على أنه إذا تحقق موت جذع المخ بتقرير لجنة طبية مختصة جاز حينئذ إيقاف أجهزة الإنعاش الصناعية".

٩- قتل الرحمة

يحفظ الإسلام للحياة الإنسانية حرمتها، لأن الحياة نعمة مـــن الله ســـبحانه لا يملك الإنعام بها غيره قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُـــمَّ يُحْيِـــيكُمْ إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ**﴿٦٦﴾﴾ (الحج:٦٦). وقال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِـــي ونُمِيـــتُ وَإِلَيْنَـــا الْمَصِيرُ**﴾ (ق: ٤٣) وما دام قد تقرر أن الله تعالى هو واهب الحياة فيكون ســـبحانه

هو صاحب الحق فى سلبها، ولا يملك أحد إزهاق نفس إلا بحد من الحدود التى شرعها الله، ولذلك جاء الوعيد الشديد فى قتل النفس بغير حق.. قال تعالى: ﴿**ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما**﴾ (النساء: ٩٣) وكأن قتل النفس بغير حق بمثابة قتل الناس جميعًا قال تعالى: ﴿**من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا**﴾ (المائدة: ٣٢) وفرض الله القصاص فى القتل، قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى**﴾ (البقرة: ١٧٨).

ولقد أكدت السنة النبوية: أن قتل النفس من أكبر الكبائر فقد روى البخارى فى صحيحه عن النبى ﷺ قال: "أكبر الكبائر الإشراك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقول الزور قال وشهادة الزور" وروى النسائى فى سننه أن رسول الله ﷺ قال: "لقتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا"، وروى الترمذى عن رسول الله ﷺ قال: "لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركا فى دم مؤمن لأكبهم الله تعالى فى النار".

وقال ﷺ: من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه هو يتردى فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا".

وقد جاء فى توصيات ندوة حقوق المسنين ما يفيد حرمة القتل الرحيم فقد نصت على ما يلى: "وتؤكد الندوة من جديد على أن موضوع قتل الرحمة منافٍ للإسلام مهما تغيرت أسماؤه (الموت بكرامة مثلاً) أو تشكت من تدخل طبى مباشر، أو تهيئة الأمر من قبل الطبيب ليقتل المريض نفسه، ويستوى فى ذلك التدخل الإيجابى أو التدخل السلبى بحجب العلاج عن المريض إن كان ذلك بنية قتله حتى وإن طلب المريض أو أهله ذلك. على أن العلاج المقطوع بعدم جدواه ليس واجبًا، فيمكن سحب الإجراءات العلاجية أو وقفها على أن تبقى للمريض حقوقه الإنسانية العامة من الرى والتغذية والتمريض والراحة من الألم (ندوة حقوق المسنين، ص ١٢٨٧).

١٠- كشف العورة:

والقاعدة الشرعية: "**الضرورات تبيح المحظورات**" (الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٩٥، للسيوطى ص ٧٧).

وقد جاء فى توصية ندوة الإنجاب: "جواز نظر الجنس إلى عورة الجنس الآخر، لدواعى الكشف الطبى والمعالجة والتعليم، مع الاقتصار فيما يبدو من العورة على ما تدعو إليه الحاجة". وقد أصدر مجلس المجمع الفقهى الإسلامى بمكة المكرمة فى دورته السابعة: "إن انكشاف المرأة المسلمة على غير من يحل شرعًا بينها وبينه الاتصال الجنسى لا يجوز بحال من الأحوال إلا لغرض مشروع يعتبره الشرع مبيحًا لهذا الانكشاف، وإن احتياج المرأة إلى العلاج من مرض يؤذيها، أو من حالة غير طبيعية فى جسمها تسبب لها إزعاجًا يعتبر ذلك غرضًا مشروعًا يبيح لها الانكشاف على غير زوجها لهذا العلاج، وعندئذ يتقيد ذلك الانكشاف بقدر الضرورة، كما كان انكشاف المرأة على غير من يحل بينها وبينه الاتصال الجنسى مباحًا لغرض مشروع، يجب أن يكون المعالج امرأة مسلمة إن أمكن ذلك وإلا فامرأة غير مسلمة وإلا فطبيب مسلم ثقة وإلا فغير مسلم بهذا الترتيب، ولا تجوز الخلوة بين المعالج والمرأة التى يعالجها إلا بحضور زوجها أو امرأة أخرى" (ندوة الإنجاب، ص ٤٨٠).

١١- زرع الأعضاء

وهذه المسألة أكد الفقهاء المعاصرين على جوازها، فقد قالوا بجواز نقل الأعضاء من شخص حيًا كان أو ميتًا إلى آخر إنقاذًا لحياته. ودليلهم على جواز ذلك ما يلى:

قول الله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى**﴾ (المائدة: ٢) وليس هناك بر أجل من إنقاذ نفس مؤمنة كادت أن تهلك لولا هذا التبرع.

قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً**﴾ (المائدة: ٣٢) فمثلاً نقل كلية إلى مريض قد تكون سببًا فى الإحياء.

قوله ﷺ: "**من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**" وهل ثم كربة أشد من كربة الموت لولا نقل هذه الكلية مثلاً.

قوله ﷺ: "**على كل مسلم صدقة قالوا فإن لم يجد قال فيعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق قالوا فإن لم يستطع أو لم يفعل قال يعين ذا الحاجة الملهوف**".

كما استدلوا كذلك بالنصوص الدالة على الإيثار والتعاون كقوله تعالى: ﴿**ويُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ ولوْ كَانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ**﴾ (الحشر: ٩) وقوله تعالى: ﴿**وتعاونُواْ عَلَى الْبرِّ والتَّقْوى**﴾ (المائدة: ٢) ووجهه أن إنقاذ نفس مؤمنة بنقل عضو إليها من سليم يعد صورة من صور التعاون والبر، كما استدلوا بأحاديث رسول الله ﷺ التى تحث على التعاون ورفع الضيق والمشقة عن الناس من ذلك قوله ﷺ: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة).

قال فضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر الأسبق (حكم بيع الإنسان لعضو من أعضائه، د/ محمد سيد طنطاوى ندوة الرؤية الإسلامية لبعض الممارسات الطبية ص ٣١٢): "فإذا جزم طبيب مسلم ذو خبرة أو غير مسلم ــ كما هو مذهب الإمام مالك ــ بأن شق أى جزء من جسم الإنسان الحى بإذنه وأخذ عضو منه أو بعضه لنقله إلى جسم إنسان حى آخر لعلاجه إذا جزم أن هذا لا يضر بالمأخوذ منه أصلاً ــ إذ الضرر لا يزال بالضرر ــ ويفيد المنقول إليه، جاز هذا شرعًا بشرط أن لا يكون الجزء المنقول على سبيل البيع أو بمقابل، لأن بيع الإنسان الحر أو بعضه باطل شرعًا، ثم قال فضيلته: "إنما أجزنا التبرع بهذه الشروط لأن للمتبرع نوع ولاية على ذاته فى نطاق الآيتين الكريمتين: ﴿**ولاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ**﴾ (النساء: ٢٩)، ﴿**ولاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ (البقرة: ١٩٥).

وقد أخذت المجامع الفقهية، وكذا الفتاوى الشرعية، بجواز نقل الأعضاء من الأحياء والأموات، ووضعت لذلك شروطًا يجب مراعاتها.

١٢- الاستنساخ

هناك محاولات لاستنساخ جنين آدمى وذلك بزراعة نواة خلية آدمية (بعد معالجتها معمليًا) فى بويضة منزوعة النواة لتصبح خلية جرثومية قادرة على التشكل الآدمى، ومن المعروف أن مثل هذه التجارب تمت بنجاح على بعض الحيوانات. وقد أجمعت جميع المؤسسات الطبية العالمية والحكومات التى تشرف على مثل

هذه البحوث على عدم الموافقة على السير فى هذه البحوث على المستوى البشرى لا من الناحية الأخلاقية فحسب بل وكذلك نتيجة العجز عن التنبؤ بما قد يحدث نتيجة ذلك النهج غير الطبيعى وما قد يترتب عليه من مشكلات صحية واجتماعية وسلوكية نحن فى غنى عنها.

فإذا كان الاستنساخ فى هذا المجال (مجال الحيوان والنبات) سببًا من أسباب تنمية هذه الكائنات المسخرة للإنسان ووسيلة توسع آفاق الانتفاع بها وتطوره تطورًا نافعًا بما يحقق مصالح البشرية، فإنه يكون لونًا من ألوان التنمية والتثمير.

فإنه يكون أمرًا مشروعًا بل هو مطلوب ومأمور به شرعًا.

يرى بعض الفقهاء أن ما يصل إليه العلم من استنساخ شىء من أنسجة الأعضاء منفصلاً عن استنساخ جسم الإنسان كله (كما الحال فى الاستنساخ التقليدى) ليس فيه مانع شرعى.

ويرى الفقهاء أن الاستنساخ البشرى الكامل غير جائز شرعًا: أنه ينطبق على الاستنساخ أنه تغيير لخلق الله تعالى، وتغيير خلق الله محرم بقوله تعالى: **﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا{١١٧} لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا{١١٨} وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾** (النساء: ١١٧-١١٩).

كما أنه معارض للآيات التى ذكرت التناسل من ذكر وأنثى بصفته طريقة التكاثر البشرى، نحو قول الله تعالى: **﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾** (النحل: ٧٢).

- ولذا يمكن أن نخلص إلى أن سلبيات عملية الاستنساخ الدينية والأخلاقية فى ضوء معطياتها الحالية تبرر الدعوة إلى الحد من مجالات تجاربها، وتمحيص تداعياتها، واستمرار متابعة نتائجها، وتفسير الجوانب الدينية والاجتماعية والأخلاقية المتصلة بها من قبل هيئات ومجموعات عمل متخصصة (استشارية وأخرى عاملة) من ذوى المعرفة الدينية ومن مختلف التخصصات العلمية ذات الصلة. وتحديد أوجه تطبيقاتها المفيدة ــ إن وجدت ــ وتبقى

التساؤلات عن إمكانية تطبيق عملية الاستنساخ فى مفهومها التقليدى (صورة طبق الأصل) على الإنسان! ولست بحاجة إلى التطرق لهذا الجانب، فلا محل فى نظرى لهذه التساؤلات أصلاً. قال تعالى فى محكم كتابه العزيز: **﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴿٤﴾﴾** (التين: ٤) وشرع لعمارة الأرض التوالد والتكاثر من أب وأم وكفى به هاديًا ونصيرًا، وخلق ــ مما خلق ــ أفرادًا وتوائم من خلقه كما يشاء ويقدر.

- ونخلص فى ضوء ما تقدم إلى تبيان جوانب إيجابية وسلبيات الاستنساخ ومقارنتها بالهندسة الوراثية.
- جوانب من محدودية وسلبيات عملية الاستنساخ البشرى (إن هى أصبحت ممكنة عمليًا).
  - التعدى على حرمة الإنسان وكرامته ونمط تناسله الفطرى.
  - اختلال التوازن الجنسى حيث يكون الاستنساخ تبعًا لجنس مصدر كروموسومات الخلية الجسدية ذكرًا كان أم أنثى.
  - اختلاط الأنساب وضياع الحقوق الشرعية.
  - الإخلال بالصفات والقدرات الجسمية والعقلية (عملية الانتقاء) من استبعاد بعضها وتنمية بعضها الآخر.
  - عدم وضوح طبيعة حياة نشئ الاستنساخ نظرًا لحداثة عملية الاستنساخ، واحتمال حدوث عواقب ونتائج غير محمودة للخروج عن النمط الطبيعى للتكاثر الجنسى للإنسان.
  - قصور المعرفة عن الإحاطة بجوانب النمو والصحة والمرض والتفاعل مع المؤثرات والتأثيرات البيئية على المستنسخ.
  - الحاجة إلى دراسة مدى ثبات التركيب والوظيفة للمكونات الوراثية فى المستنسخ ومدى قابليته للعيش والتعايش للفترة المتوسطة لحياة مصدر الاستنساخ (الأب الحيوى).
  - الحاجة إلى معرفة مدى تأثير المورثات الموجودة فى متقدرات (الميتوكوندريا) البويضة وتفاعلها مع المورثات النووية من المصدر الآخر، ومدى طبيعة مشاركتها فى العمليات الحيوية فى جسم المستنسخ.

- جوانب إيجابية محتملة لعملية الاستنساخ:
  - احتمال تنمية خلايا أنسجة لأعضاء بشرية للإحلال العضوى العلاجى.
  - تحسين النسل والإنتاج فى النبات والحيوان، على افتراض عدم نشوء تأثير سلبى على الإنسان يؤدى إلى طفرات جينية.

١٣- الجينوم (المجين) البشرى

إن مشروع قراءة الجينوم البشرى وهو: (رسم خريطة الجينات الكاملة للإنسان) هو جزء من تعرف الإنسان على نفسه وإعمال للآية الكريمة: **﴿سنُريهمْ آياتنا في الآفاق وفي أنفسهمْ﴾** (فصلت: ٥٣) ومثيلاتها من الآيات.

ولما كانت قراءة الجينوم وسيلة للتعرف على بعض الأمراض الوراثية أو القابلية لها، فهى إضافة قيمة إلى العلوم الصحية والطبية فى مسعاها لمنع الأمراض أو علاجها، مما يدخل فى باب الفروض الكفائية فى المجتمع.

١٤- الهندسة الوراثية

إن الإنجازات العلمية التى توصل إليها العلماء لا شك أن قسما منها فيه مصلحة للإنسان كما أن فيه محافظة على صحته مثل غرس جين ذى وظيفة معينة فى كائن من جنس ليؤدى الوظيفة نفسها كما هو معلوم من زرع جين الإنسان الذى يسبب إفراز الأنسولين.

هذا القسم الأصل فيه أنه محمود، بل هو من قبيل البحث والنظر الذى دعا إليه الإسلام ورغب فيه قال تعالى: **﴿قلْ سيرُوا في الأرْض فانظُرُوا كيْف بدأ الْخلْق ثُمّ اللّهُ يُنشئُ النّشْأة الآخرة إنّ اللّهَ على كُلّ شيْءٍ قديرٌ﴾** (العنكبوت: ٢٠) وقوله تعالى: **﴿وفي أنفسكُمْ أفلا تُبْصرُونَ﴾** (الذاريات: ٢١).

ولكن لا يجوز استخدام الهندسة الوراثية سياسة لتبديل البنية الجينية فيما يسمى بتحسين السلالة البشرية.

إذا كان العلاج الجينى فيه مصلحة للإنسانية، ودفع ضرر عنها ــ وهذا من القواعد الفقهية ــ فإنه جائز شرعا.

وفى الهندسة الوراثية والتحور الجينى فى النبات والحيوان والإنسان يرى بعض الفقهاء أن هذا القسم ينبغى أن ينظر إليه بحذر وتحفظ شديدين، سيما فى الحيوان والإنسان، لما يترتب عليه من آثار ومخاطر بينتها أبحاث الأطباء.

كما أن الشريعة الإسلامية تقوم أحكامها على مقاصد جلية واضحة وهى حفظ الضروريات الخمس: الدين والنفس والنسل والعقل والمال، وهى مقاصد أساسية لقيام حياة فاضلة ينعم بها الإنسان من حيث كونه إنسانًا، وأن العبث بهذه المقاصد ينبغى رده.

وقد جاء فى توصيات ندوة الوراثة والهندسة الوراثية ما يلي:

- لا يجوز استعمال الهندسة الوراثية فى الأغراض الشريرة أو العدوانية. أو فى تخطى الحاجز الجينى بين أجناس مختلفة من المخلوقات، قصد تخليق كائنات مختلطة الحلقة، بدافع التسلية أو حب الاستطلاع العلمى.
- لا يجوز إجراء أى بحث أو القيام بأى معالجة أو تشخيص يتعلق بمجين (جينوم) شخص ما إلا بعد إجراء تقييم صارم ومسبق للأخطار والفوائد المحتملة المرتبطة بهذه الأنشطة مع الالتزام بأحكام الشريعة فى هذا الشأن، والحصول على القبول المسبق والحر والواعى من الشخص المعنى، وفى حالة عدم أهليته للإعراب عن هذا القبول يجب الحصول على القبول أو الإذن من وليه مع الحرص على المصلحة العليا للشخص المعنى. وفى حالة عدم أهلية الشخص المعنى للتعبير عن قبوله لا يجوز إجراء أى بحوث تتعلق بمجينه (جينومه) ما لم يكن ذلك مفيدًا لصحته فائدة مباشرة وبموافقة وليه.
- ويجوز استعمال الهندسة الوراثية فى منع المرض أو علاجه أو تخفيف أذاه.

- **أمثلة لمجالات الإفادة من الهندسة الوراثية:**

  - إثراء المعرفة العلمية عن طريق التعرف على المكونات الوراثية وتفسيرات وظائفها فى حالات الصحة والمرض.
  - معرفة أساسيات الأمراض عن طريق التعرف على أساسيات الاعتلالات المرضية ونمط حيودها.

- **مجالات التشخيص:**

  - الأمراض الوراثية والمزمنة.

- الأمراض السارية والمعدية (البكتيرية والفيروسية والفطرية).

- **مجالات التحصين والوقاية:**

- التحصين ضد الالتهاب الكبدى الوبائى.

- **الطب الشرعى:**

- إثبات الأنساب.
- إثبات الجرم والخطيئة.
- نفى الجرم والخطيئة.

- **العلاج الطبى:**

- العلاج بالمورثات لبعض الأمراض الوراثية والمزمنة والمعوقة (فقر الدم الوراثى، السرطان، التليف الحوصلى الرئوى).

* * *

إن المواثيق الأخلاقية تؤكد كلها ضرورة الالتزام بمبدأين أساسيين: أحدهما حفظ كرامة الإنسان المريض، والآخر صون كرامة المهنة.

لقد أفدت فى دراستى هذه فوائد جمّة من كل ما كتبه أساتذتى وزملائى قديمًا وحديثًا، وكان دافعى الأساسى لهذه الدراسة أن تصل غالبية الدراسات القيمة مبسطة لطالب الطب وأطباء التدريب والأخصائى الناشئ والمواطن المثقف والإعلامى الشغوف بالثقافة العلمية، وأحمد الله تعالى الذى هدانى إلى هذه الدراسة **﴿الْحَمْدُ لِلَّه﴾** (الفاتحة: ١) وأشكره على نعمه **﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾** (إبراهيم: ٧). لأنه صاحب النعم جميعا كما قال: **﴿وما بكم مِّن نِّعْمَةٍ فمن اللَّه﴾** (النحل: ٥٣). والشكر توأم الحمد، والله تعالى يقول: **﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ واشْكُرُواْ لِي ولا تَكْفُرُونِ﴾** (البقرة: ١٥٢).

المراجع

- الحضارة الإسلامية من القرآن والسنة، د. شوقى ضيف، دار المعارف ــ القاهرة، ١٩٩٧.
- الدستور الإسلامى للمهنة الطبية، وثيقة الكويت، المنظمة العالمية للطب الإسلامى، يناير ١٩٨١.
- أخلاقيات مهنة الطب، الهيئة السعودية للتخصصات الصحية، ١٤٢٣هـ.
- دليل مبادئ الأخلاقيات (مهن الرعاية الصحية) دولة الإمارات العربية، وزارة الصحة، ٢٠٠١م.
- أخلاقيات مزاولة مهنة الطب البشرى، والسلوك المهنى للأطباء، سلطنة عمان، ٢٠٠٠.
- وثيقة أخلاقيات المهنة الطبية، دراسة مصرية تحت الطبع.
- حيثيات الأحكام الشرعية لبعض المسائل الطبية ــ أ.د. أسامة محمد العبد أستاذ بكلية الشريعة والقانون بتكليف من المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت.
- تحسين الجودة للرعاية الصحية الأولية. د. توفيق بن أحمد خوجة طبعة أولى، ٢٠٠٤.
- الجودة النوعية. د. توفيق أحمد الخوجة ــ تحت الطبع.
- مجموعة الفتاوى الشرعية.
- من ندوات المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، الكويت.
  - ــ ندوة الإنجاب فى ضوء الإسلام.
  - ــ ندوة الرؤية الإسلامية لبعض الممارسات الطبية.
  - ــ التعريف الطبى للموت.
  - ــ ندوة رؤية إسلامية لزراعة بعض الأعضاء البشرية.
  - ــ ندوة السياسية الطبية ــ الأخلاقيات والقيم.
  - ــ ندوة الوراثة والهندسة الوراثية.
- المؤتمر العالمى الأول عن الطب الإسلامى ــ الكويت د. عبد الرحمن

العوضى يناير ١٩٨١:
ـ مبادئ الأخلاق الطبية فى الإسلام د. يونس المفتو، ص ٥٥٠.
ـ نظام إسلامى فى آداب الطب. د حسم جريبو، ص ٥٥٤.
ـ فقه الطبيب وأدبه. د. عبد الستار أبو غدة، ص ٥٩٠
ـ الدستور الإسلامى لآداب مهنة الطب. د عبد الرحمن أمين، د. أحمد القاضى، ص ٦١٢.
ـ قواعد وآداب مزاولة مهنة الطب فى التراث الإسلامى. د. محمود ناظم النسيمى، ص ٦١٨.
ـ قواعد وآداب مزاولة مهنة الطب كما ورد فى التراث الطبى الإسلامى، أستاذ محمد الطيب بسيس، ص ١٢٣.
ـ قواعد وآداب الطب الإسلامى، محمد قطب الدين، ص ٦٢١.

- واجبات الطبيب د. عبد العزيز نظمى بك، مطبعة الجريدة ١٩٠٨ القاهرة.
- طبقات الأطباء والحكماء ـ ابن جلجل ٣٧٧ هـ تحقيق فؤاد سيد. مطبعة المعهد الفرنسى للآثار، ١٩٥٥.
- عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ـ ابن أبى أصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨هـ دار الفكر ـ بيروت ١٩٥٧.
- حكماء وشعراء ـ من أون إلى القصر العينى، محمود فوزى المناوى، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ٢٠٠١م.
- تاريخ النهضة الطبية المصرية ـ متحف قصر العينى ـ محمود فوزى المناوى وحسنى نويصر. دار نهضة مصر للطباعة والنشر الطبعة الثانية، ٢٠١٠.
- قصر العينى مدرسة وتاريخ ـ محمود المناوى ـ مطابع التحرير القاهرة ١٩٧٩م.
- مسئولية الأطباء، بن العزيز المراغى: مجلة الأزهر، المجلد ٢٠ سنة، ١٣٦٨هـ، ص ٤١٦.
- مسئولية الأطباء، محمد إبراهيم: مجلة الأزهر المجلد ١٩، ١٣٦٧هـ، ص ٤٩.
- علم آداب الطب، شوكت الشطبى، طبع جامعة دمشق.
- أخلاقيات الطب والصحة، منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمى لشرق المتوسط، سلسلة ورقات العمل التقنية لإقليم شرق المتوسط رقم ٤ ١٩٤٨-١٩٩٨.

خمسة آلاف سنة من الطب فى مصر*

إن تاريخ الطب المصرى يعتبر حالة فريدة فى تاريخ الطب فى العالم، لأنه مزيج، من تطورات طبية وحضارات على مدى خمسة آلاف سنة. وربما كانت مصر هى البلد الوحيد فى العالم الذى بدأ فيه الطب كعلم وفن، وحفظ فى أديرته ومعابده، ثم كانت مدرسة الإسكندرية وتأثير الطب اليونانى والرومانى، ثم المدرسة العربية الإسلامية، الشرقية منها والغربية. كانت مصر هى البوتقة التى انصهرت فيها وامتزجت علوم الطب، بحيث تركت بصماتها على ممارسة الطب فى العالم أجمع.

مصر أرض النيل العظيم، ومهد الحضارة ومنارة التاريخ، وملتقى الرسالات بهدى الأنبياء. وفضل المصريين لا يُنكر على مدى العصور فى السلم كما فى الحرب. فى الطب مثلاً مازال العالم يتأمل فى دهشة ويحار العلم الحديث أمام أجساد لها دوام الخلود ويحاولون دراستها لعلهم يظفرون ببعض ما كان يعرفه المصرى القديم.

ولقد شرفتنى الهيئة المشرفة على هذا الحفل العلمى بأن أسندت إلىّ التحدث عن تاريخ الطب فى مصر، وحيث إن الوقت لا يسمح إلا بنظرات سريعة، فسوف أتحدث فى عجالة عن تاريخ النهضة الطبية فى مصر القديمة ومدرسة الإسكندرية، ثم العصر الإسلامى، ثم عن تاريخ الطب فى مصر الحديثة.

تاريخ الحضارة الطبية فى مصر الفرعونية

يرجع تاريخ الحضارة الطبية المصرية إلى عهد قديم، إذ ورد فى بردية برلين الطبية أن "أنوثيس" ثانى ملك بعد مينا وضع كتابًا فى الطب. وكان المصريون ينسبون تدوين الطب إلى المعبود "إمحوتب" ويقولون إنه واضع أسس علم الطب، وإليه يرجع الفضل فى علاج الأمراض المعضلة، وكان نابغة فى الطب والمعمار، فكان الكتاب يذكرونه فى مصنفاتهم على أنه ذو معرفة وخبرة. وكثيرًا ما تقربوا إليه بالقرابين، وشبهه اليونان بمعبودهم "اسقلبيوس" وأقيم له معبد فى منف بجوار

---

* محاضرة ألقيت بالمجمع العلمى المصرى ـ القاهرة ٢٠٠٦.

"السرابيوم" أى مدفن العجل أبيس. ولا نجد متحفًا من متاحف العالم المتقدم إلا وله فيه تمثال، لأنه أحرز السبق فى العلوم والمعارف وخصوصًا فى الطب.

وللحضارة الطبية المصرية اهتمام بالغ من المؤرخين، إذ قال هيرودوت إن أهالى القطر المصرى كانت لهم شهرة ذائعة لاعتدال صحتهم واهتمامهم بها، كما كانوا يتعاطون علاجًا مخصوصًا مدة ثلاثة أيام فى كل شهر، ظنًا منهم أن الأمراض ناشئة عن ضعف القناة الهضمية، وكانوا يهتمون بضبط أوقات الغذاء وتعاطى المسهلات".

وقال أيضا "إن المصريين كانوا يفحصون جثث الموتى لمعرفة سبب الوفاة، ويفتخرون بأنهم أول من أوجد علم الطب. وكانت البرديات أهم سجلاتهم الطبية مثل: بردية برلين، بردية إيبرس، بردية أدوين سميث، بردية لندن، بردية كارلسبرج وبردية كاهون وهى خاصة بأمراض النساء والتوليد.

وكان الأطباء المصريون يميزون بين أمراض الأطفال والنساء والرجال بأن يفردوا لكل منها بابًا خاصًا فى كتبهم، وقد اهتموا بالجراحة والولادة، وبحالة الصحة العمومية، كما اهتموا بحركات القلب والنبض، وأمراض العيون، والجلد والعظام، وأنواع البثور والأورام، واعتنوا بغذاء المريض وحركة الأمعاء، واستعمل المصريون القدماء كثيرًا من العقاقير فى تذاكرهم الطبية. وكان على الطبيب معرفة علم النبات، وصنوف العقاقير، والمقدار الطبى فيما يتعلق بالأطفال والبالغين، وهذه العقاقير كانت تعطى فى صورة أمزجة أو مراهم أو مروخات أو حبوب أو قطرات أو لبخ أو حقن شرجية أو شوافات شرجية أو لعوك أو غرغرة.

الحضارة الطبية فى عهد مدرسة الإسكندرية:

تتلمذ الإغريق على يد المصريين القدماء، ونقلوا عنهم علوم الطب، فقد جاء فى كتاب "عيون الأنباء فى طبقات الأطباء": "أن اسقلبيوس لم يكن بالمتأله الأول فى صناعة الطب ولا بالمبتدئ بها، بل إنه عن غيره أخذ، ولمنهج من سبقه سلك، وإنه كان تلميذ هرمس المصرى".

وانتقل مجد أثينا إلى الإسكندرية التى أصبحت بفضل موقعها الجغرافى

مركزًا للتفكير والنشاط العلمى، وحلقة اتصال بالمدنيات الشرقية. لقد جمع بطليموس الأول (من ٣٨٥ إلى ٣٢٣ قبل الميلاد) حوله طائفة من البارزين فى الأدب والفلسفة، وشيد مكتبة الإسكندرية العظيمة، ثم شيد المتحف المشهور الذى أسكن فيه هؤلاء العلماء، وأنفق عليهم من ماله الخاص ليواصلوا الدرس والبحث وليعلموا فيه طلبة العلم الذين كانوا يفدون من كل حدب وصوب. وقد بقيت هذه المدرسة من القرن الرابع قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادى، حينما فُتحت مصر. وينقسم عهد هذه المدرسة إلى فترتين، تمتد أولاهما من سنة ٣٠٦ إلى ٣٠ قبل الميلاد، وتمتد ثانيتهما من سنة ٣٠ قبل الميلاد إلى ٦٤٢ ميلادية والتى انتهت بدخول العرب مدينة الإسكندرية.

وقد تولى تشييد مدرسة الإسكندرية هيروفيلس وأرسطراطوس تحت رعاية بطليموس، وامتاز عهد مدرسة الإسكندرية فى فترته الأولى بالشعر والعلوم الطبيعية والطبية، وتقدمَ الطب تقدمًا محسوسًا عما كان عليه فى أثينا، فقد صرح بتشريح جثث الآدميين لأول مرة فى عهد بطليموس الأول، حتى تمكن "جالينوس" من التفوق على جميع أقرانه، وألف قدرًا كبيرًا من الكتب اختير منها ستة عشر كتابًا جُعلت أساسًا لدراسة علم الطب فى هذه المدرسة.

الحضارة الطبية فى مصر الإسلامية:

تأسست مدرسة جندى سابور فى بلاد الفرس فى القرن السادس الميلادى، عقب طرد النسطوريين من الإسكندرية ورحيلهم إلى جندى سابور. وعندما فتح عمرو بن العاص مصر، قرّب إليه وكرّم بقايا أطباء مدرسة الإسكندرية؛ منهم يحيى النحوى وعبد الله بن أبجر الكنانى، والنسطوريون هم الذين نقلوا كتب الطب والفلسفة إلى السريانية والفارسية، ثم نقلوه بعد ذلك إلى العربية. وورثت مدرسةُ جندى سابور ثقافة الإغريق عن طريق مدرسة الإسكندرية التى تعلم فيها الحارث بن كلدة طبيبُ النبى ﷺ وطبيبُ أبى بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين، وفقدت مدرسةُ جندى سابور مكانتها رويدًا رويدًا بتحولِ بغداد إلى مركز علمى يشعُ على العالمِ نورًا وعرفانًا لمدة خمسة قرون (من سنة ٧٥٠م إلى سنة ١٢٥٠م).

ثم أصبحت القاهرةُ، فى العصر الفاطمى مركزًا آخر للفكر العربى. ومما تفخر به مصرُ أن عددًا وافرًا من المؤلفات الطبيةِ وضع فى القاهرة، منها كتبُ ابن رضوان المتعلقةُ بالصحة وبالأخص صحةُ مدينة القاهرة. كذلك ألف صدقة بن إبراهيم الشاذلى كتابه المسمى "العمدة الكحلية فى الأمراض البصرية" وهو أولُ كتاب تضمن الإشارة إلى ذيوع أمراض العين بين المصريين.

وظل أطباءُ مصر يأخذون العلم والصناعة عن تلاميذ مدرسة الإسكندرية ويتوارثونها، ومن هؤلاء "تليطيان" الذى قال عنه سعيدُ بن البطريق فى كتاب "نظم الجواهر" إنه عين بطريركا على الإسكندرية، وقد استقدمه الرشيدُ لمداواة جاريةٍ من أهل مصر أهداها له عبيد الله بن المهدى لما كان واليًا عليها.

وبدأ أطباءُ مدرسة بغداد يتوافدون على مصر فى عهد أحمد بن طولون، ومن هؤلاء إبراهيُم بن عيسى الذى صحب يوحنا بن ماسويه ببغداد، وقرأ عليه وأخذ عنه، وتوفى بها سنة ٢٦٠ هجرية. وقد خدم ابن طولون طبيبان ماهران هما الحسن بن زيرك وسعيد بن توفيل. ومن أشهر الذين تطببوا بمصر ودرسوا فيها موفقُ الدين عبد اللطيف البغدادى الذى كان يلقى دروسه فى الجامع الأزهر. وكان الأطباء فى مصر يتخرجون على يد أساتذة يقرءون عليهم كتب "جالينوس" الستة عشر، وكتب ابن سينا والرازى، ويلازمونهم لمعرفة طرق العلاج، ثم بعد ذلك يمتحنهم رئيسُ الأطباء، فإذا جازوا الامتحان رخَص لهم بتعاطى صناعة الطب.

ويعتبر ابن رضوان من جملة أقطاب الطب فى عهد النهضة الإسلامية من جهة ابتكاراته فى علم الصحة وفى طرق العلاج. وهناك طبيبان نبغا فى مصر يمكن اعتبارُهما فخرًا للطب العربى هما عمار بن على الموصلى وابن البيطار. فقد ألف عمار أحد كتب طب العيون الفريدة باللغة العربية، وهو صاحبُ ملاحظات طريفةٍ وابتكارات فذة، وقد زين كتابه بالصور، ولابن البيطار بعضُ الكتب منها "شرح أدوية كتاب ديسفوريدس" وكتاب "الجامع فى الأدوية المفردة".

واستمرت الحضارة الطبية الإسلامية تأخذ من كتب جالينوس. ومن أشهر الأطباء والفلاسفة العرب أبو القاسم الزهراوى وابن زهر وابن رشد، والرازى،

وابن سينا وموسى بن ميمون.

البيمارستانات المصرية: شُيدت فى مصر جملة بيمارستانات فيما بين سنة ٢٥٩ وسنة ٨٢٠ هـ، منها بيمارستان ابن طولون بَناهُ أحمد بنُ طولون واشترط ألا يعالج فيه جندىٌ ولا مملوك، وشرط أنه إذا جئ بالعليل تُنزعُ ثيابُه وتحفظ عند أمين البيمارستان، ثم يُلبَسُ ويفرش له، ويراع بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ، فإذا أكل فروجًا ورغيفًا (أى إذا شفى واستطاع أن يأكل طعام الأصحاء) أمر بالانصراف وأُعطى ماله وثيابه.

بيمارستان كافور: بناه الأخشيدى بالقاهرة سنة ٣٤٦ هـ.

البيمارستان المنصورى أو بيمارستان قلاوون: بُنِى سنة ٦٧٣ هـ، وقد رأس بيمارستان قلاوون "جدى الأكبر الشيخُ الإمامُ العالمُ العلامةُ المحققُ المدقق كنز الطالبين أوحدُ المجتهدين قطبُ دائرة المتطببين أبو الهمم نورُ الدين على بن محمد المناوى الذى ألف كتاب "وقاية العين بشرح تجريد كشف الرين فى أحوال العين لابن الأكفانى. "سنة ٨٨٦ هـ. وتوفى عام ٩٠٠ هـ (الموافق ١٤٥٩م).

البيمارستان المؤيدى: أنشأه الملك المؤيد تجاه قلعة الجبل سنة ٨٢٣ هـ لكنه تعطل بعد وفاة المؤيد، ثم صار جامعًا فيما بعد.

كما شيد الملك صلاح الدين الأيوبى **المستشفى الناصرى**، وشيد الفتح بن خاقان "**مارستان المغافر**" فى أيام الخليفة المتوكل على الله.

الحضارة الطبية فى العصر الحديث:

بعد الفتح العثمانى لمصر أغلقت المدارس أبوابها، وتسدهور علم الطب، واندثرت معالمُه، وأصبح وقفًا على الدجالين.

وكان من نتائج حكم المماليك، والطاعون المدمر الذى كان يفتك بسكانها بين حين وآخر، أن نقص عددُ السكان إلى حوالى مليونين. فلما جاء محمد على باشا إلى مصر وبدأ بإنشاء جيش مصرى قوى، رأى ضرورة إنشاء هيئة طبية مصرية لرعاية صحة جنود الجيش المصرى الناشئ، ولم يكن يوجُد بمصر فى ذلك الوقت

غير مستشفى عسكرى بالأزبكية، وقد عين محمد على باشا الطبيب الفرنسى كلوت بك رئيسًا لتنظيم المصلحة الطبية العسكرية.

وقام كلوت بك بتأسيس المستشفى المركزى العام بأبى زعبل،، إذ أرسل إلى عثمان بك نور الدين (وكيل الحربية حين ذلك) خطابًا فى ٢٤ من يوليو ١٨٢٦م يطلبُ تأسيس مدرسةٍ طبيةٍ بجوار المستشفى المركزى العام بأبى زعبل، "لأن إنشاء مدرسةٍ طبيةٍ له أهميةٌ كبيرةٌ فى حفظ الصحة العامة بالبلاد، وإعادة الأمجاد العلمية المصرية". وقد ذكرّه فى كتابه "بأن المعاهد العلمية لا تكونُ طويلة العمر أو ذات ثمرةٍ مؤكدةٍ إلا إذا كانت وطنية مستقلةً عن الأجانب، فقد تمنعُ مصالحهُم الشخصيةُ ومطامعُ بلادهم الأصلية من المحافظة على صالح البلاد الحقيقى، أو إخلاص النصح، كما أن استيراد أو انتداب الأطباء الأجانب أمرٌ لا يدوم، ولا بد من اختيار أطباء وأساتذة من المصريين".

وكانت أولى الصعاب التى قابلت إنشاءَ المدرسة الطبية المصرية أنه لم يكن يوجُد فى مصرنا العزيزة حينذاك تلاميذُ يتكلمون لغةً أجنبية، ولذا تقرر أن يكون تعليمُ الطب باللغةِ العربية. وكان السببُ الآخر لاختيارِ اللغة العربية هو نظرية كلوت بك التى تقول "إن التعليم بلغةٍ أجنبيةٍ لا تحصلُ منه الفائدة المنشودة، كما لا ينتجُ عنه توطينُ العلم أو تعميمُ نفعه"، وللتغلب على هذا ألحق المترجمين واعتبرهم طلبةً فى مدرسة الطب، وألحق معهم مائة طالبٍ من الأزهر الشريف، ولم ترق فكرةُ التعليم باللغة العربية لفريق كبيرٍ من الأجانب، حتى إن المندوب الذى بعثته الحكومةُ الفرنسية كتب يقول "إن مدارس الطب والصيدلة وفن البيطرة والكيمياء مكونةٌ تمامًا من عرب، والمسيو كلوت يحاول أن يُعطى تلاميذه روحًا وطنية عربية، ولا أعرفُ هل يستحق التأنيب أو التشجيع".

أما ثاني الصعوبات التى قابلت إنشاء المدرسة الطبية وهى معارضة رجال الدين تشريح الجسم، فقد أزالها كلوت بك عندما عقد اجتماعًا مع علماء الدين والطوائف الدينية، وكانت نتيجة جهوده الفذة هى إقناعُ هولاء، فصدرت فتوى دينية بإباحة تشريح الجثث فى مدرسة الطب.

وكانت المرحلة الثالثةُ هى استيراد أساتذة أكفاء للتدريب والتدريس فى

المدرسة، جاء بهم كلوت بك من جميع جامعات أوروبا.

أما نظامُ مدرسة الطب، فقد سارت المدرسةُ على برنامج مدرسة طب باريس التى كانت الدراسةُ بها ست سنوات، اختيرت كتبُ الدراسة من أهم وأشهر المؤلفات الطبية الفرنسية. وفى عام ١٨٢٧ افتتحت مدرسة الطب المصرية بسأبى زعبل قرب القاهرة وبجوار المستشفى المركزى العام. وقد ألحق بها مدرسةٌ لتعليم اللغة الفرنسية حتى يتمكن الطلبةُ من التقدم الطبى السريع، وذلك بالاطلاع على المراجع والمؤلفات الفرنسية بجانب الكتب المترجمة، كما أنشئت مدرسة أخرى للعلوم الأولية لإعداد الطلبة للالتحاق بالكلية.

وأما امتحاناتُ المدرسة الطبية فكان لها قدسيةٌ خاصة، وكان الامتحان يُعقد إما فى شهر شعبان أو شوال بحضور علية القوم ووكلاء وقناصل فرنسا وإنجلترا وروسيا وهولندا والنمسا والعلماء والأعيان.

وترأس لجنة الامتحان الأولى المسيو يوزارى الطبيبُ الخاص لمحمد على باشا، كما حضر إبراهيم باشا امتحان مدرسة الطب سنة ١٨٣٠م.

وفى سنة ١٨٣٢ قرر كلوت بك أن يرسل نوابغ الخريجين إلى باريس ليتموا دراستهم على يد أكبر أساتذة الطب فى فرنسا، ويعودوا للتدريس لإخوانهم المصريين، ويكونوا النواة الأولى لهيئة التدريس بالمدرسة الطبية المصرية. وفى عام ١٨٣٢ غادرت ميناء الإسكندرية سفينة تحمل باقة من أبناء مصر أو بعضًا من ثمار مدرسة الطب.

وكانت أولُ بعثة طبية مصرية تسافر إلى أوروبا مكونة من ١٢ طبيبًا من أوائل الامتحان النهائى بمدرسة الطب المصرية، منهم أحمد الرشيدى، محمد السكرى، محمد شافعى، محمد على البقلى.

وقد طلب محمد على باشا من كلوت بك أن يعقد لهم امتحان دخول ليتأكد من قدرتهم على التحصيل، فجمع كلوت بك الأستاذ بوست وبريشت رئيس الجمعية الطبية الفرنسية وسكرتيرها الدائم وكونوا لجنة امتحانٍ من أمثال الدكاترة لارى، وماجندى، وروش، وكلوكيت، وبيجين وغيرهم من فطاحل الطب فى فرنسا، وفى

قاعة مدرسة الطب الباريسية فى السابع عشر من نوفمبر سنة ١٨٣٢، وبحضور أعضاء المجمع العلمى الفرنسى عُقد امتحان كان فى غاية الشدة، نجح فيه الجميعُ نجاحًا باهرًا أذهل الحاضرين، وبرهنت البعثةُ الطبيةُ المصريةُ الأولى على أن الذكاء المصرى غيرُ محدودٍ، وأن الطبيب المصرى إذا وجد الظروف مناسبةً تفوق تفوقًا ظاهرًا، حتى إن الجراح الفرنسى ذائع الصيت الأستاذ دبوبترين علق على هذا بقوله: "أيها الطلبة بالرغم من أن اللغة أجنبيةٌ عنكم؛ درستم بها علمًا عظيمًا صعبًا تحققنا من كفاءتكم، وتضلعكم ومن معارفكم الواسعة أنكم ستعيدون عهد مدرسة الإسكندرية لبلادكم وأجوبتكم على أسئلتنا خيرُ دليلٍ على أنكم ستكونون خير خلف لأسلافكم ابن سينا والرازى وأبو القاسم".

وفى مدى عشر سنوات أى عام ١٨٣٧م كان عددُ الخريجين قد وصل إلى ٤٣٠ طبيبًا. ورأت الدولة أنها فى حاجة إلى مكانٍ أوسع وأرحب فنقلت المستشفى والمدرسة إلى قصر ابن العينى، الذى بناه أحمد بن العينى سنة ١٤٦٦ــ ١٤٦٧.

والمزايا الناشئة عن نقل المدرسة من أبى زعبل إلى القاهرة كثيرة، منها أن المستشفى أصبح قريباً من مكان الحاميةِ، وأن المرضى لا يحتاجون فى الوصول له إلى قطع المسافات الطويلة، كما أصبح فى مقدور طلاب العلوم الدينية الذين يردون إلى مصر من مختلف أنحاء البلاد الشرقية لدراسة الشريعة الإسلامية فى الجامع الأزهر، أن يحضروا أفواجًا إلى مدرسة الطب ليسمعوا ما يلقى من الدروس والمحاضرات، وينقلوا فيما بعد إلى موطنهم ما اقتطفوه من ثمار العلوم الطبية، وبهذه الكيفية لا يكونُ انتشارُ هذه العلوم مقتصرًا على مصر، بل متناولاً غيرها من الأمم الإسلامية التى كانت محرومة منها.

ومن المعروفِ أنه عند انتقال المدرسة إلى قصر ابن العينى سنة ١٨٣٧ كان بها ٣٠٠ طالب، يتعلمون ويلبسون مجانًا، وجميعهم مقيم بقصر العينى، وتدفع لهم مرتباتٌ شهرية أيضًا.

وقد بدأ أعضاء البعثات فى العودة إلى الوطن العزيز. وفى عام ١٨٣٨ عاد محمد الشافعى ومحمد الشماسى ومحمد البكرى ومصطفى السبكى ومحمد على

البقلى ومحمد هيبة من باريس، بعد انتهاء تعليمهم بنجاح، وعينوا برتبة الأميرالاى مساواة بزملائهم الأجانب، وجعل لهم مرتبًا قدره عشرة جنيهات شهريًا. ويعتبر الدكتور محمد هيبة أول أستاذ لأمراض النساء في العصر الحديث.

وحتى عام ١٨٤٨ كانت كلية الطب قد خرجت لمصر ٨٠٠ طبيب، وفى الثالث من ديسمبر من نفس العام حضر إلى مصر الأستاذ لاليماند بناءً على طلب إبراهيم باشا، وقام بدراسة أحوال مدرسة الطب، وكتب فى الثانى والعشرين من ديسمبر تقريرا إلى ناظر المعارف قال فيه "قد امتحنت جدًا من امتحان طلبة الطب فى الأيام الثمانية، وفى ظنى أنه لو تقدم طلبة من الفرنسيين فى مثل هذه الظروف وبعد هذه المدة لما كانوا أسبق من الطلبة المصريين في مثل هذا الاختصاص، ومن بين هؤلاء الطلبة من أعدهم فخراً لأى جامعة أوروبية، وكثيرون يستحقون البعث لأوروبا كى يعدوا أساتذة أكفاء وأطباء ماهرين، وأقول إن المدرسة الطبية المصرية يمكنها أن تخرج الآن أطباء جديرين بالثقة التامة وأطباء أكفاء للقيام بالتدريس والتطبيب". وطلب زيادة عدد الطلبة وتوسيع المدرسة لتزايد عدد السكان، وبلغت مدرسة الطب منزلة عظيمة وأوتى لها العلماء من أنحاء أوروبا، وبلغت شهرتها اليونان والآستانة وبلاد الشام والعرب، وجاءها المرضى من جميع الدول للعلاج وعمل الجراحات.

وفى عهد كلوت بك عرب الأساتذةُ المصريون ٨٦ مرجعاً فرنسياً، وتعتبر هذه المكتبةُ العربيةُ الطبية أكبر مكتبة طبية فى العالم، ترجمت من لغة إلى لغة، ولكن لا شئ يدوم، وتأتى الرياح بما لا تشتهى السفن، فقد مات الوالى محمد على باشا، وتبعه ابنه إبراهيم باشا بعد ذلك بستة شهور، وجاء بعده عباس باشا الذى حاول هدم كل ما هو فرنسى بناءً على نصيحة قنصل إنجلترا، ونتيجة لذلك استقال كلوت بك سنة ١٨٤٩، وخلفه دكتور دوفينيو، ثم بيرون بك ثم شافعى بك (فكان أول عميد مصرى للمدرسة). وفى عهده استدعى الأستاذ الألمانى الكسندر رايسر الذى أوصى بإرسال بعثات إلى النمسا تشبه بعثات محمد على باشا، فتم ذلك، ورأى عباس باشا وضع المدرسة تحت الإدارة الألمانية. وجاء بعد ذلك الدكتور تيودور بلهارس، وبالرغم من اكتشاف دودة البلهارسيا فى ذلك العهد فإن الدراسة

لم تتقدم كثيراً لعدم وجود تخطيط سليم فى هذه المرحلة. وبدأت المدرسةُ فى التدهور. وفى عام ١٨٥٤ حاول عباس باشا الاستعاضة عن الألمان وإحلال الإيطاليين الذين حاولوا الإصلاح، ولم تسمع نصائحهُم.

ولما تولى سعيد باشا الحكم أغلق المدرسة عدة شهور لعدم تمكنه من إصلاحها، وصادف ذلك مجئ كلوت بك إلى مصر ثانيةً فى نوفمبر ١٨٥٤، فكُلِّف بإعادة إصلاح المدرسة التى افتتحت ثانيةً فى اليوم العاشر من سبتمبر عام ١٨٥٦ وتركها كلوت بك فى أكتوبر ١٨٥٦ لسوء صحته. وبدأ سعيد باشا بإرسال البعثات إلى أوروبا ثانية.

ولما تولى إسماعيل باشا الحكم أعاد للمدرسة مجدها ونُصِحَ الخديو بأن يتولى رئاسة المدرسة الطبيبُ المشهور والجراحُ الدكتور محمد على باشا البقلى ثانى مصرى يرأس المدرسة، واستمر يرأسُها من ١٨٦٣ حتى ١٨٧٩، وكان عهداً ذهبيًا صارت فيه ملجأً لطلاب العلوم الطبية من غير المصريين، وأمر إسماعيل باشا حينذاك بتعليم عشرة من السوريين بالمجان، وكانت للمدرسة مجلة أسبوعية (يعسوب الطب) تنشر بها جميع المعلومات الطبية الحديثة مع ما تقدمه المجلات العلمية، وهذه أول مجلة تنشر باللغة العربية فى العالم العربى والإسلامى، وفى هذا العقد كان جميع الأساتذة وعددهم ٢٠ من المصريين، ما عدا أستاذاً واحداً. والبقلى باشا كان من الدفعة الأولى التى تخرجت فى مدرسة الطب وعضواً فى البعثة الأولى لفرنسا، وكان جراحًا ذائعَ الصيت، بلغت شهرته الشرق الأدنى واليونان والأستانة، وله مؤلف عن مرض الفيل طبع فى باريس سنة ١٨٦٢ (عام ألف وثمانمائة واثنين وستون).

ولما قامت الحرب بين مصر والحبشة فى عهد إسماعيل باشا تطوع وسافر مع الأمير حسن باشا، فكان دائم السهر على صحة الجنود، وكان مثار تقدير من مصر كلها. واستشهد ودفن فى نفس العام فى الحبشة. وكان إسماعيل باشا مشغولاً مع ديلسبس بترتيبات افتتاح قناة السويس فى ١٧ نوفمبر ١٨٦٨، وعقد مؤتمر القسطنطينية فى نوفمبر ١٨٨٨. وبعده أصبح الأستاذ الدكتور عيسى باشا حمدى الرئيس أو العميد الثالث للمدرسة سنة ١٨٨٢، وقد طور عيسى حمدى باشا

الدراسة بها. واستصدر قرارا (دكريتو فى سنة ١٨٨٧) بجعل الدراسة ست سنوات فى مدرسة الطب، وثلاثا فى مدرسة القابلات، وجعل دراسة جميع التلاميذ بالمدرسة خارجية بمصروفات قدرُها خمسة عشر جنيها، واشترط فى طالبها أن يكون حاصلاً على شهادة الدراسة الثانوية، وأن ينجح فى امتحان دخول المدرسة، ولا يقل عمره عن ستة عشر عاما. وعلى الطالب أن يقدم رسالة قبل التخرج، والحصول على لقب دكتور، وقد وضع عيسى باشا حمدى برنامجا متطورا حسب الطرق العلمية الحديثة، ووضع نظاما لترقى أعضاء هيئة التدريس، وكان رئيسُ المدرسة يعين بناء على ترشيح لجنة الأساتذة وموافقة ناظر المعارف.

ولمنزلة عيسى باشا حمدى ونفوذه الكبير، استطاع إعادة بناء مدرسة قصر العينى لتسع حوالى خمسمائة طالب. وفى سنة ١٨٨٥ فتحت أبواب العيادة الخارجية للجمهور، فأمها الناس بالمئات والألوف حتى قال اللورد كرومر فى تقريره "أنه يخشى الاضطرار لقفلها لازدياد عدد المترددين عليها".

كل هذا التقدم، كان قبل تدخل الإنجليز فى شئون المدرسة، واستمر هذا النظام حتى أكتوبر سنة ١٨٨٩ عندما استقال عيسى باشا حمدى وذلك لخلاف بينه وبين على باشا مبارك ناظر المعارف، خاص بقوانين المدرسة فى تعيين قريب له فى وظيفة أستاذ بدون امتحان سابق.

وفى سنة ١٨٩٠ عين حسن باشا محمود رئيسا للمدرسة فأخذت فسى الاضمحلال نتيجة لتأثير الفوضى السياسية على نظام المدرسة، وقد استقال كثير من الأساتذة المصريين احتجاجا على تعيين حسن باشا محمود، وعلى منع البعثات للخارج، وعين الإنجليز فى هذا الوقت دكتور كيتنج أستاذا للتشريح، وكان هو فى الحقيقة الرئيس الفعلى للمدرسة.

وفى بداية نفوذ دكتور كيتنج أنقصت الدراسة من ست سنوات إلى أربع سنوات، ودبت الفوضى فى المدرسة. وفى عام ١٨٩٨ عين كتنج رسميًا رئيسا للمدرسة، وظل جاثما على صدر المدرسة، ومنع إرسال البعثات للخارج، حتى اضطر كثير من الأساتذة المصريين أن ينقطعوا حفاظا على كرامتهم، وكان من

بينهم أطباءُ حائزون لدرجات علمية عالية ذوى شهرة دولية، منهم حسن خورشيد بك ومحمد درى بك ومحمد علوى بك وعثمان غالب بك، وأنشأ درى بك مطبعة خاصة. وبالتدريج أخْرج المصريين وعين الأجانب إلى أن قضى على البقية الباقية من النظام المصرى، حتى جاء وقتٌ لم يوجد فيه أساتذةٌ مصريون إلا محمد شكرى باشا أستاذ أمراض النساء والولادة الذى استقال بعد ذلك احتجاجا. ونقص عدد الطلبة حتى إنه لم يتخرج فيها غير طبيبين فقط سنة ١٨٩٩، وأصبح جميعُ الأساتذة من الأجانب، وكان من نتائج سياسة اللورد كرومر الملتوية والاستعمارية تجاه قصر العينى أن نقص عدد الطلبة، حتى إنه عندما كان على باشا إبراهيم طالبا فى السنة الأولى بمدرسة الطب كان عدد الطلاب فى السنة الأولى اثنا عشر طالبا، وكان عدد الطلبة فى بقية السنوات الخمس خمسة عشر طالبا فقط.

وفى سنة ١٩٠٣ اكتملت المؤامرةُ الإنجليزية التى قضت لا على مصرية المدرسة، بل وحلت الإنجليزية محل العربية، وانقضى عهدُ الأساتذة المصريين والأطباء النوابغ.

وضج الأهالى واضطرت الحكومة للاستعانة بالجراح الإنجليزى الشهير المستر هاريسون لوضع نظام جديد للمدرسة بالاشتراك مع الكلية الملكية الإنجليزية، كان له أثر كبير فى رفع مستوى المدرسة. وعندما أصبح سعد باشا زغلول وزيرا للتعليم فى ١٩٠٨ قرر إعادة إرسال البعثات للخارج. والمعلوم أنه فى هذا الوقت كانت كل وظائف الأساتذة والأساتذة المساعدين فى مدرسة الطب من الأجانب، وفى سنة ١٩٠٨ عين أول أستاذ مصرى فى عهد الإنجليز، وهو الدكتور بهجت وهبى الذى تولى رئاسة قسم التشريح. كما أن الأهالى اتجهوا للبعثات الخاصة لطلب العلم، حتى إنه كان هناك ٩١ مصريا يدرسون الطب خارج مصر عام ١٩١٠ (٤٠ فى فرنسا، ٧ فى ألمانيا، ١٨ فى أمريكا، ٨ فى إنجلترا، ٤ فى سويسرا، ٤ فى النمسا) منهم أحمد شفيق باشا وعبد العزيز إسماعيل باشا اللذان سافرا وحصلا على أعلى الشهادات على حسابهما الخاص.

وبدأ إرسال البعثات الحكومية أيضا، فسافر أكثر من أربعين طبيبا منهم دكتور محمد خليل عبد الخالق، دكتور سليمان عزمى باشا، دكتور محمود عرفات، دكتور جورج صبحى، دكتور إبراهيم فهمى المنياوى، دكتور عبد

الوهاب باشا مورو، دكتور نجيب مقار، دكتور إبراهيم شوقى، دكتور كامل حسين وغيرهم من أساطين الطب الذين أخذوا على عاتقهم هم ومن جاء بعدهم، مهمة تمصير الطب وتعليم الأجيال من الأطباء. وفى عام ١٩١٩ تولى المدرسة الجراحُ الإنجليزى ريتشارد الذى بدأ النهوض بالمستشفى الذى أطال مدة الدراسة بالمدرسة، وعين عدداً من المصريين فى كراسى الأستاذية. وفى مايو عام ١٩٢٠ أنشأ عيسى باشا حمدى وتلميذه على باشا إبراهيم الجمعية الطبية المصرية.

وفى إبريل سنة ١٩٢٥ أدمجت مدرسة الطب فى الجامعة المصرية، وأطلق عليها اسم كلية الطب، وعدلت مناهج الدراسة سنة ١٩٢٦، وأصبحت الكليةُ على استعداذا لمنح درجة الدكتوراه فى الطب. وفى سنة ١٩٢٧ استقر الرأى على إنشاء مستشفى جديد هو مستشفى المنيل الجامعى ليسع ١٢٠٠ سرير، ووضع الملك فؤاد حجر الأساس للكلية الجديدة ومستشفاها فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٨ بعد أن وضع حجر الأساس للجامعة المصرية فى ١٧ فبراير من نفس العام.

وتم تطوير المستشفى القديم وبنى دور رابع فوق القصر القديم، واشترى وضم مبنى جمعية حماية الطفولة الذى أصبح قسم الأطفال (مستشفى أبو الريش).

وفى يوم الجمعة ٢٨ من أبريل ١٩٢٩ روعت الأسرة الطبية بنعى الدكتور مادن عميد كلية الطب ووكيل الجامعة المصرية فقد انتحر فى منزله إذ أطلق رصاصة من مسدسه فاقتحمت الفم إلى الرأس وقضت على حياته ووجده خادمه الخاص مضرجا بدمائه على مقعد بغرفته الخاصة ولم يجد المحققون سببا لانتحاره، وكانت عقيلته وأولاده قد سافروا لإنجلترا لتمضية فصل الصيف قبل عشرة أيام من هذا الحادث المروع.

ولقد كان لموته رنة أسى فى مصر وإنجلترا واحتفل احتفالاً مهيبا بتشييع جنازته بعد ظهر يوم السبت الموافق ٢٩ من أبريل ١٩٢٩.

وقد عادت الإدارة المصرية لمدرسة قصر العينى فى مايو سنة ١٩٢٩، ويعتبر أول مايو سنة ١٩٢٩ يوما لا ينسى فى تاريخ الطب المصرى الحديث، ففى هذا اليوم اجتمع مجلس كلية طب قصر العينى، وانتخب بالإجماع على باشا إبراهيم عميدًا للكلية ومديرًا لقصر العينى، وجاءت النهضة الحديثة على يديه، فقد

مَصَّر التعليم الطبى واستمر قصر العينى شامخا حتى اليوم رمزا للنبوغ والأصالة المصرية بجانب الأهرامات وأبى الهول والأزهر الشريف. وأنشئت الجمعية الطبية المصرية والمجلة الطبية المصرية ولجان تعريب الطب قبل إنشاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية عام ١٩٣٢.

وما لم تنفتح مصر بهذا التاريخ الحضارى المتجدد على العالم ــ من خلال أحدث وسائل الحفظ وهو المتحف، وأحدث وسائل الاتصال وهو الإنترنت ــ فسوف يفتقد الدارسون فى شتى أنحاء العالم أهم ما يميز حضارة مصر ومضامين عراقتها.

إن بعض علماء الغرب ينكرون علينا قدرتنا على مواصلة التقدم، بل ويحاولون فرض رسوم مقابل الانتفاع بنتائج علومهم الفكرية، زاعمين أنهم روادُ العصر فى كافة العلوم والبحوث، غير مدركين أن ما أنجزوه من تفوق يعود غراسه إلى أبناء مصر منذ عهد الفراعنة، والذين لم يحجبوا عطاءهم الطبى للاستفادة به والبناء عليه. إن حضارتنا الطبية لها ماض عريق يضرب بجذوره فى أعماق التاريخ، وتمتد فروعه فى كافة مجالات الإبداع والابتكار.

ومن قصر العينى خرج إلى الدنيا رجال كثير ونساء عرفتهم الأجيال أعلاما وقادة لا نستطيع لهم حصرًا، وليس غريبا أن يشتهر الأطباء المصريون فى العالم كله كفاءة وعلما وخلقا.. وإنه من المؤلم حقا أن تكون مصر بلد التاريخ وبلد الحضارة الطبية هى الدولة الوحيدة فى العالم التى لا تدرس تاريخ الطب بمدارسها الطبية .... فهل آن الأوان.....

مصر والطب العربي*

حتى نعرف نصيب مصر من نهضة الطب العربية الإسلامية يجب أن نعود إلى مدرسة جندى سابور وهى المدرسة الطبية التى خلفت مدرسة الإسكندرية. أسست هذه المدرسة ما بين القرن الرابع الميلادى والقرن السادس الميلادى عقب طرد النسطوريين من الإسكندرية ورحيلهم إلى جندى سابور والنسطوريون هم الذى نقلوا كتب الطب والفلسفة إلى السريانية والفارسية ثم نقلوها بعد ذلك إلى العربية وشاركهم فى ذلك بعض الأطباء الفارسيين والعرب. وتعلم فى هذه المدرسة الحارث بن كلدة الثقفى الذى كان طبيب النبى عليه الصلاة والسلام وطبيب أبى بكر أول الخلفاء الراشدين بالرغم من أنه كان مسيحيا.

وفقدت مدرسة جندى سابور مكانتها بتحول بغداد إلى مركز طبى كبير وبإنشاء بيت الحكمة فى بغداد سنة ٢١٥ هجرية بعمادة حنين بن إسحاق.

بعد هذه المقدمة نعود ثانية إلى دور مصر فى النهضة الطبية العربية.

تنقى من تلامذة الإسكندرية عدد تطبب فى مصر منهم يحيى النحوى وعبد الملك بن أبجر الكنانى. ولقد التقى يحيى النحوى بعمرو بن العاص بعد فتح مصر فأكرمه وبجله. أما ابن أبجر فقد كان طبيبا عالما ماهرا مقيما فى الإسكندرية وكان يتولى التدريس، ولما ملك المسلمون الإسكندرية أسلم أبجر على يد عمر بن عبد العزيز.

وظل أطباء مصر يأخذون العلم والصناعة عن تلاميذ مدرسة الإسكندرية ويتوارثونها ومن هؤلاء (نليطيان) (الذى قال عنه سعيد بن البطريق فى كتاب (نظم الجواهر) إنه عين بطريركا على الإسكندرية، وقد استقدمه الرشيد لمداواة جارية من أهل مصر وأنشأ أول دار لرعاية الحوامل.

وقد بدأ أطباء مدرسة بغداد يتوافدون على مصر فى عهد أحمد بن طولون وأول هؤلاء إبراهيم بن عيسى الذى صحب يوحنا بن ماسويه ببغداد وقرأ عليه وسافر مع

---

* محاضرة ألقيت فى قاعة الإمام محمد عبده، فى احتفالات العيد الألفى لجامعة الأزهر.

الأمير أحمد بن طولون إلى مصر ولم يزل بمدينة الفسطاط إلى أن توفى سنة ٢٦٠ هجرية. وقد خدم ابن طولون طبيبان آخران هما الحسن بن زيرك وسعيد بن تويفل.

ونرى أن القاهرة أصبحت بعد عصر المأمون مركزًا آخر للفكر العربى وبالأخص بعد تشييد الأزهر فى عهد الفاطميين، وبتشييد الأزهر وضع جوهر القائد أساس نهضة علمية طبية وفكرية. ومما تفخر به مصر أن عددًا وافرًا من المؤلفات الطبية التى تعتبر فى المرتبة الأولى من مخلفات العرب قد ألفت بالقاهرة، منها كتاب المنتخب فى علاج أمراض العين لعمار بن على الموصلى وهو مسلم تعاطى صناعة الطب فى القاهرة وكتب ابن رضوان المتعلقة بالطب وكتاب "العُمدة الكحلية فى الأمراض البصرية" لصدفة بن إبراهيم الشاذلى وهذا الكتاب أول كتاب تضمن الإشارة إلى ذيوع أمراض العين بين المصريين بقوله "يصاب أهل مصر أكثر من سواهم بالرمد بالنسبة لكثرة الأتربة والرمال.

ومن أظهر الذين تطببوا بمصر ودرسوا فيها موفق الدين عبد اللطيف البغدادى الذى كان يُلقى دروسه فى الجامع الأزهر وقد حدث فى أيام وجود عبد اللطيف البغدادى طاعون فسمح له بتشريح جثث المصابين فتعرف على أخطاء جالينوس وقد ذكر هذا فى كتاب "الكفاية فى التشريح".

وكان هناك أيضًا "أفرائيم بن الزمان" الطبيب المصرى الإسرائيلى الذى قال عنه ابن أبى أصيبعة "إنه قرأ صناعة الطب على أبى الحسن بن رضوان وهو من أجل تلاميذه".

وكانت تتشئة الأطباء فى القاهرة تجرى على سنة نقضها ابن رضوان المصرى ورد عليه ابن بطلان البغدادى. وكان طالب الطب الراغب فى اتخاذ الطب مهنة وصناعة يعهد به إلى متطبب معروف وهو فى سن الثانية عشرة أو الرابعة عشرة ويظل تلميذًا له يساعده عمليًا، ويتلقى عنه الصناعة بالمشاهدة، ويجتهد أن يُحسن المران باليد، فإذا بلغ فى ذلك منزلة محمودة طلب منه أن يَدْرُسَ على أستاذه أو مُعلّمة كتب جالينوس الستة عشر وغيرها من كتب الرازى وابن سينا وما إليها، فإذا تمكن من العلم الطبى النظرى امتحنه رئيس الأطباء ورخص له إن جاز

الانتمان بمزاولة المهنة. إلا أن على بن رضوان طالب باتباع طريقة نتبعها الآن وهى أن الطالب يجب أن يتلقى العلم النظرى أولاً ثم يشرع فى المران العملى.

وابن رضوان يمثل نزوع مدرسة القاهرة إلى التحرر من سيطرة الأقدمين سواء أكانوا من تلامذة مدرسة جندى سابور أم مدرسة بغداد.

وهناك طبيبان اخران نبغا فى مصر يمكن اعتبارهما فخرًا للطب العربى هما عمار بن على الموصلى وابن البيطار. فلقد ألف عمار أحد كتب طب العيون الفريدة باللغة العربية، أما ابن البيطار فهو "الحكيم" الأجل العالم أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقى النباتى وكان فى خدمة الملك الكامل محمد بن أبى أيوب الذى جعله فى الديار المصرية رئيسا على سائر العشابين. وقد ساعد على تخريج الأطباء وجود المستشفيات فى الفسطاط ثم القاهرة. والمستشفيات كانت تسمى المارستان أى بيت المرضى ولا فرق بين المارستان والبيمارستان فى المعنى، وقد فضلت كلمة المارستان لسهولة نطقه. وأول عهد الإسلام بالمارستانات فى أيام الوليد بن عبد الملك وكان ذلك فى سنة ٨٨ هـ. وقد شيد هارون الرشيد إلى جوار كل جامع كبير مستشفى أومارستانا.

وقد شيدت فى مصر جملة مارستانات ما بين سنة ٢٥٩ هـ و سنة ٨٢٣ هـ، وأول مارستان هو الذى بناه أحمد بن طولون، وشرط فى المارستان ألا يعالج فيه جندى ولا مملوك. وبلغ ما ينفق على هذا المارستان ٦٠ ألف دينار فى ذلك الوقت. ومارستان كافور بناه كافور الأخشيدى بالقاهرة سنة ٣٤٦ هـ. أما المارستان المنصورى أو مارستان قلاوون فشرع فى بنائه فى أول ربيع الآخر سنة ٦٧٣ هـ وبقى المارستان حتى عام ١٨٨٠ م، ولم يبق من أقسامه إلا القسم الخاص بالمجانين وبهذا اشتهر.

أما المارستان المؤيدى فقد أنشأة الملك المؤيد تجاه قلعة الجبل بين عام ٨٢١ هـ وعام ٨٢٣ هـ ونزل فيه المرضى فى شعبان عام ٨٢٣ هـ ولكنه تعطل بعد وفاة المؤيد ثم صار جامعا فيما بعد. كما أنشأ صلاح الدين الأيوبى المستشفى الناصرى وأنشأ الفتح بن خاقان "مارستان المغافر". وهذا التاريخ يدل على أن مصر

كانت دائما البوتقة التى انصهر فيها خلاصة الطب فى الإمبراطورية الإسلامية. وكانت دائمًا الملجأ لأهل العلم.. وكيف لا.. وابن ميمون اليهودى وجد الفسطاط ملجأ له وأصبح طبيبًا لصلاح الدين الأيوبى بعد أن كان مهددًا بالقتل لأنه قيل إنه ارتد عن الإسلام، ولكن سماحة الأزهر والإسلام أفتت أنه لم يسلم أصلاً حتى يرتد.

وفى الحقيقة فإن مدرسة القاهرة بدأت عالة على مدرستى بغداد والأندلس ثم استقلت وأنجبت أطباء عظام أضافوا إلى المعرفة الطبية الكثير.

ولكن لما كانت كل نهضة ثقافية تستمد روحها من الحضارة التى تثمرها، فقد كان طبيعيا أن تذبل بذبول هذه الحضارة. وقد قوض الفتح التركى دعائم الحضارة التى ازدهرت حتى عهد الملك الغورى، وفقدت النهضة الطبية فى مصر أسباب القوة والاندماج حيث أغلقت المدارس أبوابها ومسخ علم الطب واندثرت معالمه.

ووسط هذا الظلام ظهر شعاع نور حينما ولد أحمد الدمنهورى بن عبد المنعم بن خيام الشهير بالدمنهورى والذى تولى مشيخة الأزهر بعد وفاة الشيخ محمد الحفنى، وكانت وفاته سنة ١١٩٢ هـ.

ولكن شاء الله أن دارسى الطب الأول فى عهد مدرسة أبى زعبل ابتداء من عام ١٨٢٧م كانوا من طلاب الأزهر الشريف الذين لم يكونوا يعرفون شيئًا عن اللغات الأجنبية وكانوا يعتمدون على المترجمين فى تحصيل معلوماتهم والاستماع لمحاضرات أساتذتهم. ولكن هؤلاء الطلاب لم يلبثوا أن أصبحوا عباقرة ممتازين وأطباء ماهرين يسيطرون على المادة الطبية بلغتها الأجنبية ويحتلون مكانًا بارزًا فى الأوساط العلمية الدولية مما يؤكد أصالة الأستاذ المصرى وعراقته واستعداده للنجاح بل للتفوق والصدارة.

والآن نجد الطب المصرى يعيد تاريخه وأصالته ليخفف آلام العرب والمسلمين فى كافة الأقطار الإسلامية، ويظل وسوف يظل بإذن الله دور مصر الإسلامية شامخًا أبد الدهر.

متحف قصر العينى

مائة وثمانون عاما على إنشاء المدرسة الطبية المصرية*

شهد القرن العشرون ثورة متحفية، جسدها التوسع الهائل فى إنشاء المتاحف النوعية التى باتت عالمًا فسيحًا عميق الامتداد فى الماضى والحاضر، بل والمستقبل، فأخذت توسع نطاق أنشطتها وتطور وسائل عرضها بغرض تأصيل الشعور بالولاء والانتماء إلى المجتمع فى مجال الأنشطة العلمية والثقافية.

ولم تقنع المتاحف بجمع المعروضات وصيانتها وعرضها، بل اتجهت إلى تعليم زائريها أصول كثير من العلوم والفنون، ومن هنا قامت نهضة كبرى فى المعاهد المتحفية، حيث تزايدت مظاهر الاهتمام الدولى بشأن الدور التعليمى لها، وبدأت تمد جسور التواصل بين العلوم والمعارف وعنى بتزويدها بكافة المقومات التى تساعد على استيعاب المستجدات، والأخذ بالبعد التعليمى كأحد ركائز التحديث.

ومن هنا عقدت اليونسكو عددًا من الندوات الدولية والإقليمية بشأن الدور التعليمى للمتاحف، كان أولها فى بروكلين بنيويورك عام ١٩٥٢ وقام معظم المشاركين بدراسة البرامج التعليمية للمتاحف فى الولايات المتحدة، ونشرت نتائج هذه الندوة فى تقرير بمجلة "ميوزيم". ثم انعقدت ندوة مشابهة فى أثينا باليونان عام ١٩٥٤ بحثت خلالها البرامج التعليمية على أساس المتطلبات الخاصة بكل دولة من الدول الأعضاء، وقيمت الأسس النظرية لهذه البرامج واتخذت نحوها حلول متطورة تواكب اتساع البرامج الخاصة بمتاحف كل دولة.

ومتحف قصر العينى هو أحد روافد هذه الثورة المتحفية، وتتجه رسالته نحو التعريف بحكماء قصر العينى وإسهاماتهم العلمية والقومية، وعطائهم الأدبى والخلقى الرفيع فى الحقل الطبى الذى عملوا به، وأفنوا حياتهم فى وضع مصنفاته.

ومن منطق استثمارنا لذلك الرصيد المتكامل من العلوم والفنون التى تدخل

---

* دراسة منشورة بالمجلة الطبية المصرية، المجلد رقم (٩٠)، القاهرة.

في إطار العلوم المستحدثة وارتقائنا من مستوى حضارى محقق إلى مستوى أحدث نستشرف معالمه، فلابد أن يستند توجهنا إلى أن الجهد الذى بذل فى إعداد المتحف يتعين أن تسانده الإرادة السياسية وتزكيه القيادات التنفيذية لتحقيق التقدم المنشود بهدف بناء طبيب يؤمن بتكامل العلوم والثقافة.

وإذا كان قصر العينى منذ إنشائه ينبوع العلم والمعرفة، ومقصدًا للطلاب من كافة الأقطار العربية والإسلامية، وقادرًا على الاستجابة للمتغيرات المحيطة، فإننا بحاجة إلى إحداث "تزاوج بين العلوم" الطبية والثقافية، على غرار ما درجت عليه كليات الطب فى غالبية الدول المتقدمة، ومناصرة هذا التوجه تتطلب تزاوج الجهود، حتى تلقى الثقافة الطبية صداها الواجب لدى المختصين. إن هذا النوع من التعليم لم يعد ترفًا يطلب لذاته أو لغرض بعيد عما هو معمول به فى بعض الدول المتقدمة، وإنما لأنه نشاط مستحدث ودعامة لتنمية المجتمع الطبى وتطوير علومه، وجمع متوازن بين الأصالة والتحديث فى مدرسة قصر العينى التى تمثل مركز الريادة العلمية ومنار التعليم المتطور فى المحيط الطبى. وما لم تكن أعمال الرواد من بينها فسوف يفتقد المناخ العلمى والتربوى أهم معالم الأصالة والتواصل بين الأجيال، حتى ندفع عن أبنائنا خطر الانفصال عن أمجاد أسلافهم.

لقد تطور مفهومنا لوظيفة قصر العينى من اعتماده على التعليم والعلاج والبحث العلمى إلى تبنى المفهوم الأوسع الذى يشمل خدمة البيئة وتنميتها، من ثم يقترح بأن يكون لكليات الطب ظهيرها الثقافى الذى تتفاعل معه، وتبرز به شخصيتها الحضارية، وتثبت به وجودها الذى تشع من خلاله الحياة الجامعية المتميزة، والاتجاه إلى تضمين المناهج علم الثقافة الطبية الذى يعد استكمالاً لمقومات التطوير وتواصلاً مع البيئة الحضارية المحيطة بها، بما يجعل مقتنيات المتحف أداة تربط بين الأجيال وترسخ الولاء والانتماء الوطنى لطلابنا.

بدأ التفكير فى إنشاء متحف قصر العينى منذ أربعين عامًا ــ وتحديدًا فى عام ١٩٦٩ ــ عندما أرسل د. محمود المناوى فى مهمة علمية للولايات المتحدة الأمريكية فى جامعات كاليفورنيا وميسورى وهارفارد وجونز هوبكنز، وأتيحت له فرصة رؤية ما فعله الغرب لتسجيل تراثهم الطبى، بالرغم من أن بعض هذه

الجامعات يرجع تاريخ إنشائها إلى فترة أحدث من قصر العينى.

وقد زار الدكتور المناوى المتحف القومى الأمريكى لتاريخ الطب فى الولايات المتحدة والذى كان يوجد فى مؤسسة "سميثسونيان" التى تتكون من مجموعة المتاحف الأمريكية فى واشنطن، وهو يحكى تاريخ الطب الأمريكى بدءًا من الحرب الأهلية وحتى صعود الولايات المتحدة إلى القمر بأرفع مستويات التكنولوجيا التى قدمت لرعاية رواد الفضاء.

وفى جامعة هارفارد (مستشفى ماستشوستس جنرال) دخل الدكتور المناوى قاعة (إيثردوم) التى أجريت بها أول عملية تحت مخدر الأثير، ووجد بداخلها مومياوات مصرية عرضت فى المدن الأمريكية لجمع تبرعات لإنشاء هذا المستشفى، ثم أصبحت المكون الرئيس لمتحف هذه الجامعة العريقة.

وبعد عودته من الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٣، بدأ الاتصال بالأستاذ الدكتور حسن على إبراهيم عميد الكلية لجمع تراث كلية طب قصر العينى الذى كان موزعا بين جنبات الكلية، ولا يوجد له أى توثيق، وقدم تصوراته لما يمكن أن تكون عليه صورة المتحف. وقد صادفه كثير من العقبات فى سبيل الحفاظ على هذا التراث وجمعه فى متحف للكلية، إلى أن جاءت الفرصة عندما احتفلت كلية طب قصر العينى بمرور مائة وخمسين عامًا على إنشائها فى فترة تولى الأستاذ الدكتور يحيى طاهر عمادة الكلية.

وبعد أن صدر قرار الرئيس أنور السادات بهدم قصر العينى وإعادة بنائه على نفقة الدولة، تقرر جمع ما تبقى من هذا المبنى الأثرى القومى ليكون مع ما جمع نواة لمتحف قصر العينى. إلا أنه حدثت عقبات مالية وإدارية أوقفت مراحل البدء فى إخراج هذا المشروع إلى النور. وفى عام ١٩٩٥ نوقش موضوع إنشاء المتحف فوافق الأستاذ الدكتور مفيد شهاب رئيس جامعة القاهرة حينذاك على إحياء فكرة إنشاء المتحف الذى كان من المقرر إقامته فى مستشفى قصر العينى التعليمى الجديد على أن يتم افتتاحه فى نفس توقيت افتتاح هذا الصرح الطبى، بحضور الرئيسين محمد حسنى مبارك وجاك شيراك.

وبدأت الدراسة الأولية، وتمت دراسة تكاليف المشروع الذى أيده وسانده الأستاذ الدكتور/ محمد معتز الشربينى عميد كلية طب قصر العينى، وقد اتفقت الكلية مع إدارة الجامعة على أن يقوم مركز صيانة الآثار والمخطوطات ومقتنيات المتاحف التابع لكلية الآثار جامعة القاهرة بعمل الترميمات وإقامة المتحف. إلا أنه للمرة الثالثة تقف أمامنا العقبات الإدارية والمالية والهندسية ومن بينها أن مبنى مستشفى قصر العينى التعليمى الجديد، لا يصلح لإقامة المتحف لأسباب هندسية. وهنا تقرر أن يقام المتحف بمبنى مركز المؤتمرات فى مبنى إدارة الكلية بأرض المنيل الجامعى.

ولما كان المتحف قد أتيح له أن يرى النور بعد أن توفر له فريق عمل متجانس، ورغم العديد من الصعوبات التمويلية والإدارية وغيرها، فقد أتاحت القرارات المتتابعة بشأن هذا المتحف تآزر الجهود المبذولة، ووضع الأطر المستحدثة لهذا العمل المتقدم. وكان فريق العمل من السباقين لإرساء المعايير الصحيحة فى تحمل أعبائه، وصولاً إلى تثبيت دعائم هذا المشروع الوطنى.

وقد سادت مراحل إنجاز هذا المشروع روح التكامل بين فريق العمل، وحازت خطواتهم إعجاب المشرفين عليه، وشاع بين أفراده الأداء المتميز، ليرتفع هذا المشروع بعد ما ذكرنا إلى مصاف المتاحف النوعية الرائدة فى العالم بأسره، لما انطوى عليه إعداده من تخطيط واع، وتنفيذ دءوب، ومتابعة فعالة. وعلى ضوء ذلك، وضعت خطة العمل لهذا المشروع على مراحل.

المرحلة الأولى:

صدر قرار عميد كلية طب قصر العينى رقم ٢١ لسنة ١٩٩٥ بتشكيل لجنة من عضوية كل من السادة: الأستاذ الدكتور محمود فوزى المناوى أستاذ التوليد وأمراض النساء، والأستاذ الدكتور فؤاد على فهمى النواوى مدير مستشفى قصر العينى التعليمى الجديد، والدكتور أحمد محمود فوزى المناوى مدرس التوليد وأمراض النساء، وتكون مهمتها الإشراف ومتابعة تنفيذ إقامة متحف قصر العينى، وقد تم إسناد عملية ترميم وتجهيز المتحف إلى مركز صيانة الآثار والمخطوطات ومقتنيات المتاحف بكلية الآثار جامعة القاهرة. وتم تشكيل فرق عمل للبدء فى

تنفيذ المرحلة الأولى للمشروع من جهتين علميتين متخصصتين الأولى: كلية طب قصر العينى ويمثلها: الأستاذ الدكتور محمود فوزى المناوى أستاذ التوليد وأمراض النساء وصاحب فكرة إنشاء المتحف والدكتور أحمد محمود المناوى مدرس أمراض النساء بكلية طب القاهرة الذى قام بالدراسة الأولية لإقامة المتحف. والثانية كلية الآثار جامعة القاهرة ويمثلها الأستاذ الدكتور صلاح الدين البحيرى عميد كلية الآثار ورئيس مجلس إدارة مركز صيانة الآثار والمخطوطات ومقتنيات المتاحف، الأستاذ الدكتور حسنى نويصر وكيل كلية الآثار لشئون خدمة المجتمع وتنمية البيئة ونائب رئيس مجلس إدارة مركز صيانة الآثار والمخطوطات ومقتنيات المتاحف، الأستاذ الدكتور حسام الدين عبد الحميد رئيس قسم ترميم الآثار بكلية الآثار، الأستاذة الدكتورة فاطمة محمد حلمى مدير المركز، وكل من الدكتور محمد عبد الهادى والدكتور ياسين زيدان والدكتور السيد البنا والدكتور أحمد شعيب، والسادة المدرسون المساعدون والمعيدون بقسم ترميم الآثار.

وقد استغرقت المرحلة الأولى من المشروع ثلاث سنوات كاملة من العمل المضنى الدءوب، حتى تكلل العمل بافتتاح المرحلة الأولى فى مارس سنة ١٩٩٨ بتشريف الأستاذ الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالى والدولة للبحث العلمى، والأستاذ الدكتور فاروق إسماعيل أحمد رئيس جامعة القاهرة، والأستاذ الدكتور محمد الشافعى الظواهرى رئيس الجمعية الطبية المصرية،والأستاذ الدكتور حمدى السيد نقيب الأطباء وكثير من رواد الطب فى مصر.

وبعد افتتاح المرحلة الأولى للمتحف، عكف مركز صيانة الآثار والمخطوطات ومقتنيات المتاحف على دراسة المرحلة الثانية لهذا المشروع العظيم.

وإذا كانت المرحلة الأولى تمثل الأساس الذى بنى عليه المتحف، من حيث انتقاء التحف الفنية المهمة من اللوحات الزيتية والتماثيل، وصور الرواد الأُول لعلماء الطب فى مصر الحديثة، وصور العلماء الذين أوفدهم محمد على باشا لدراسة الطب فى أوربا ــ فإن المرحلة الثانية اشتملت على الكنوز النادرة التى تؤصل لمهنة الطب فى مصر وتؤرخ لكلية طب قصر العينى.

المرحلة الثانية:

صدر قرار عميد كلية طب قصر العينى رقم ٣ لسنة ١٩٩٩ بتاريخ ١٩٩٩/٢/١ بتشكيل لجنة برئاسة الأستاذ الدكتور محمود المناوى، وعضوية كل من الأستاذ الدكتور حسنى نويصر مدير مركز صيانة الآثار والمخطوطات ومقتنيات المتاحف، والأستاذ الدكتور حسام الدين عبد الحميد وكيل كلية الآثار، والأستاذة الدكتورة فاطمة محمد حلمى رئيس قسم ترميم الآثار، والأستاذ الدكتور محمد عبد الهادى الأستاذ بقسم ترميم الآثار، والأستاذ السيد العربى مدير عام الترميم بالمجلس الأعلى للآثار، والأستاذ صلاح متبولى رئيس معامل الترميم بكلية الآثار، وذلك للقيام بتنفيذ المرحلة الثانية.

المتحف ومكوناته:

يقع مبنى المتحف بالطابق الأرضى الأيسر من قاعة المؤتمرات بكلية طب قصر العينى. ويتكون من قاعتين: الأولى رئيسية ومساحتها ٢٤م × ٨م، والثانية فرعية ومساحتها ٢٤م × ٤م، إلى جانب قاعة جانبية مساحتها ٦م × ٣م تستخدم فى إجراء ترميم مقتنيات المرحلة الثالثة وتعد لعرض أية مقتنيات جديدة سيتم إهداؤها إلى المتحف. ويضم المتحف كثيرًا من المقتنيات الطبية الأثرية والفنية التى تمثل فى مجموعها تأريخًا لدراسة الطب فى مصر منذ عام ١٨٢٧م وهى تمثل صفحات مضيئة لهذا التاريخ، وتسجل بالصور والوثائق والأدوات الطبية الباقية مراحل تطور علم الطب منذ إنشاء مدرسة الطب العريقة فى عهد محمد على باشا على يد كلوت بك (١٨٢٧) وحتى وفاة عميد كلية طب قصر العينى الفذ الأستاذ الدكتور على باشا إبراهيم (١٨٨٠- ١٩٤٧م).

وتتنوع مقتنيات هذا المتحف، ففيه مجموعة رائعة من اللوحات الزيتية مرسومة على قماش (توال)، ووثائق أصلية كتبت بخط اليد على الرق أو على ورق سميك، وصور فوتوغرافية، وتماثيل برونزية، ومخطوطات طبية، وكتب نادرة، هذا بالإضافة إلى بعض الأدوات الطبية التى استخدمها مشاهير الأطباء فى هذه الفترة فى عملياتهم الجراحية، والأجزخانات الطبية التى كانت تستعمل فى تركيب الدواء وإعداده.

ويعتبر كل ما يضمه المتحف مقتنيات ذات قيمة تاريخية وفنية عالية. فمن اللوحات الزيتية مثلاً: لوحة تصور مدرسة الطب بأبو زعبل وهى المدرسة الأولى التى أمر محمد على باشا ببنائها هناك على يد كلوت بك، ولوحة ثانية ذات صفة طبية تمثل الدرس الأول للتشريح أمام طلاب الطب فى إحدى قاعات المدرسة، ولوحة ثالثة تمثل كلوت بك يحقن نفسه بمصل الطاعون. كما يوجد بالمتحف العديد من الصور الشخصية لأطباء هذه الفترة ممن أسهموا فى النهوض بمدرسة الطب المصرية، وتماثيل ووثائق، وكتب مخطوطة أو مطبوعة لعلوم الطب والجراحة والعقاقير الطبية، وفرمانات ومراسيم أصدرها كل من محمد على باشا والخديوى إسماعيل باشا لتطوير التعليم الطبى، وصور لدفعات الخريجين من مدرسة الطب، وسجل زيارات مشاهير أطباء أوربا فى هذه الفترة يوضح مدى إعجابهم بالمستوى الرائع لنظم ومواد التعليم فى مدرسة الطب المصرية، وأطالس طبية لعلم الأمراض أو علم التشريح، وسير ذاتية لأحوال مصر الصحية زمن الأمراض الفتاكة بخط يد كلوت بك، ورخام أثرى يحمل أمر إنشاء مدرسة الطب فى عهد محمد على باشا، والإضافات المتعاقبة لتطوير هذه المدرسة عند نقلها إلى موقعها بقصر العينى القديم، وتوقيع الملك فؤاد الأول بإنشاء المستشفى الحالى بجزيرة الروضة، هذا فضلا عن أختام ورسائل تهنئة مما لا يدخل تحت حصر.

ويمكن أن نقسم مقتنيات المتحف إلى ما يلي:

اللوحات الرخامية

عثرت بعثة كلية الآثار جامعة القاهرة ــ فى أثناء القيام بأعمال الحفائر الأثرية فى المبنى القديم لكلية طب قصر العينى عام ١٩٧٩ ــ على مجموعة مهمة من الآثار الرخامية لها دلالات تاريخية وفنية هائلة، تؤرخ لتأسيس مدرسة الطب المصرية. هذا فضلاً عن قطع أخرى لنحات أوربى (ف. كليشنن) قام بنحت بوابة تذكارية لتخليد ذكرى وفاة ليدى كرومر ووضع توقيعه. ويرجع تاريخ الحفر إلى سنة ١٩٠٣.

وقد حدثت لهذه الآثار الرخامية تكلسات ملحية مختلفة السمك والصلابة تغطى أجزاء عديدة من الأسطح وبعض الشروخ والكسور والنشوهات. وقام المركز بإزالة الاتساخات واستخلاص الأملاح بوساطة الطرق الميكانيكية

والكيمائية، من خلال كمادات متكررة، وتقوية الأجزاء الضعيفة بمواد تقوية مناسبة وحمايتها من عوامل التلف. كما تم ترميم المنكسر منها.

اللوحات الزيتية

يعرض بالصالة الرئيسية بالمتحف عدد من اللوحات الزيتية تمثل فى مجموعها أعمالاً فنية قيمة، فضلاً عن قيمتها الطبية. فاللوحة الأولى بالقاعة الرئيسية... تمثل درسًا فى علم التشريح يقوم به كلوت بحضور مائة طالب أزهرى مع شيوخهم والمترجمين. والصورة تمثل قاعة يتضح أن راسمها لديه دراية بعلم المنظور والضوء والظل ــ متمثلاً ذلك فى جدران القاعة وما يعلوها من طاقات إضاءة، وكذلك فى صفوف الطلاب المتدرجة خلف بعضها بعضًا. ويظهر فى مقدمة الصورة البيان العلمى لدرس التشريح، حيث يظهر أحد الأشخاص راقدًا على سرير باعتباره نموذجاً للشرح. كما يظهر فى الصورة التماثل فى توزيع الأشخاص على جانبى القاعة، والتركيز على منطقة المقدمة التى يقف فيها المعلم ومساعداه. كما يظهر فى أعلى جدران القاعة أسماء أعلام الأطباء المسلمين فى مناطق مستطيلة لتأكيد فضل المسلمين على علم الطب بعامة. وفى الجانب الأيمن من اللوحة توجد منضدة عليها بعض الأدوات التى تستخدم فى الدروس العلمية. ويظهر فى اللوحة نواح فنية كثيرة يضيق بها المقام. فالطلاب وهم فى بدايات مراحل العلم عبر عنهم الفنان بالنقاء فى ملابسهم البيضاء الناصعة، بينما تلاعب بملابس المعلم ومساعديه فبدت بالألوان داكنة زرقاء، وتضاد هذا اللون مع ملابس جند الحراسة الحمراء لتعطى تناغمًا لونيًا جميلاً.

وعلى شاكلة هذه اللوحة، يوجد العديد من اللوحات الزيتية الكبيرة المساحة ٢٠٠ × ١١٥ سم مثل المنظر الجميل لمدرسة الطب بأبو زعبل التى بنيت فى فضاء كبير محاط بالبساتين ومياه النهر، أو منظر عام لكلوت بك وهو يحقن نفسه بمصل الطاعون فى درس من دروس الطب الوقائى.

وهذه الصور المرسومة بأسلوب الواقعية ــ مثل التى تصور عملية جراحية أو منظرًا طبيعيًا بكافة التفاصيل والنسب الطبيعية ــ تعتبر مدرسة فنية جديدة لم تكن معروفة فى عصر التصوير الإسلامى. فهذا الفن الأخير لم يكن ليحترم المنظور ولا مضاهاة الطبيعة فى رسم الأشخاص ولا النسب التشريحية لجسم

الإنسان، ومن ثم فإن هذه الصور الزيتية تمثل مرحلة جديدة فى فن التصوير عند المسلمين وتعتبر رائدة فيه، ويجب أن تؤخذ فى الاعتبار عند التاريخ لهذه المرحلة فنيا. وإذا كان المصورون المسلمون قد نجحوا فى التعبير عن رسوماتهم فى المخطوطات بالأحبار والألوان المائية، فإن التصوير بالزيت على القماش يعتبر مجالاً جديدًا فى الفن الإسلامى فى هذه الفترة.

وإلى جانب هذه اللوحات الزيتية الكبيرة الحجم، وجدت لوحات أخرى بحجم صغير أو متوسط. وهى عبارة عن صور شخصية لمشاهير علماء طب مصر فى هذه الفترة مثل صورة كلوت بك، والدكتور عيسى حمدى باشا، والدكتور محمد عبد الوهاب مورو، ورسوم بعض علماء الأجانب ممن عملوا فى مدرسة الطب المصرية أمثال الدكتور تيودور بلهارس مكتشف مرض البلهارسيا، والدكتور روى دوبن رئيس أقسام النساء والولادة فى فترة تولى على باشا إبراهيم عمادة الكلية.

ولم تكن هذه اللوحات الفنية معروضة أو محفوظة فى أماكن مناسبة، ولذلك تعرضت لأضرار جسيمة مثل التعرض لدرجات حرارة غير مناسبة (حرارة عالية أو رطوبة عاليه)، وإصابات حشرية، وغبار وأتربة، بل وأحيانا تلف بشرى مثل تساقط بويات فى أثناء عمليات التنظيف والإحلال، أو التدخل دون دراية بالترميم كما حدث فى لوحة مدرسة الطب بأبو زعبل، حيث أضاف إليها غير متخصص طبقة من اللاكيه الأزرق فى خلفية الصورة لإظهار السماء مما شوه اللوحة تمامًا وتطلب ترميمها جهدًا خارقًا.

وبعض هذه اللوحات تعرض للتمزق أو تآكل النسيج أو تساقط الألوان الزيتية، وكذا وجدت أطرها الخشبية فى حالة سيئة للغاية.

وبحمد الله وتوفيقه نجحت كل أعمال الترميم التى قام بها المتخصصون من أعضاء هيئة التدريس بكلية الآثار وأعضاء مركز صيانة الآثار والمخطوطات ومقتنيات المتاحف التابع لجامعة القاهرة، فعادت اللوحات إلى لونها الأصلى، وتم تبطين بعضها كاملاً من الخلف، وكذا إصلاح الأطر واستكمال الناقص منها.

وجدير بالذكر أنه تمت معالجة كل لوحة على حدة. فأجريت عليها أول الأمر

دراسة لعوامل التلف، ووضع لها خطة تعتمد على الاختبارات المعملية لمادة العمل والألوان والنسيج، وكيفية إزالة طبقة الورنيش القديمة المشبعة بالأتربة والغبار والأوساخ لتكون المعالجة سليمة والترميم وفق الأسس العلمية، وبعد ذلك تم وضع طبقة ورنيش شفافة لحماية الطبقة اللونية أثناء العرض المتحفى.

المخطوطات والوثائق

كانت مكتبة الدراسات العليا بكلية طب قصر العينى تحتفظ بعدد كبير من المخطوطات الطبية والوثائق الورقية والجلدية (رق). وتعرضت هذه المخطوطات والوثائق لعوامل التلف المختلفة، من بينها ارتفاع نسبة الحموضة وما ترتب عليها من تقصف ألياف الورق واصفرار لونه، وكذلك ظهور بقع سوداء على أسطح صفحات الورق نتيجة لامتزاج الأتربة مع العرق الآدمى، وبقع لونية بوساطة الأحبار، وتواجد العديد من التمزقات والاستعمال الخاطئ بل والترميم البدائى باستعمال الشرائط اللاصقة بأنواعها (سوليتب) وظهور بعض الأمراض الحشرية.

وقد اتبعت عدة طرق علمية لعلاج هذه المخطوطات والوثائق، من بينها استعمال ورق التشو والمذيبات العضوية المناسبة، واستعمال مواد التطرية وإزالة التجاعيد للوثائق الجلدية، وأحيانا تم تغيير الغلاف الكرتونى الحافظ لبعض المخطوطات نظرًا لفساده وتعرضه للتلف. ومن بين هذه المقتنيات القيمة: فرمان إنعام محمد على باشا على كلوت بك برتبة لواء، ومخطوط تشريح العين الذى ألفه شمس الدين محمد بن الكحال مؤرخ سنة ٨٦١ هجرية (١٤٥١م)، ومخطوط تذكرة الكحالين المؤرخ سنة ٩٤١ هجرية (١٥٣٤م)، ومخطوط تذكرة داود المؤرخ سنة ٩٧٦ هجرية (١٥٦٨م)، وجريدة بعسوب الطب الصادرة فى ربيع الآخر سنة ١٢٨٢ هجرية (١٨٦٥م).

الخزائن الخشبية (أجزخانة) لإعداد دواء التركيب

يوجد بالمتحف أجزخانتان خشبيتان لإعداد وحفظ الأدوية: الأولى خاصة بخورشيد باشا الوالى العثمانى لمصر، والثانية من إهداء الخديو إسماعيل. وقد تعرضت الأجزخانتان لمظاهر تلف عديدة من تشققات واتساخات وغير ذلك. وقد تم تنظيف

وإزالة البقع بعمل كمادات من المنظفات المناسبة لكل بقعة، كما تم جلى المقابض النحاسية والحليات وتثبيت الأرفف وإعادة عمل مصاريع الغلق والفتح لتعمل طبيعيا، وتم عزل الأسطح عن العوامل الجوية لصيانتها.

التماثيل البرونزية والأختام

يضم المتحف تمثالين نصفيين لكلوت بك من إنتاج الفنان الفرنسى دافيد فونديير، وتمثالين للدكتور على باشا إبراهيم: أحدهما تمثال رأس من عمل الفنان مختار، والآخر تمثال نصفى، وكذا وجه للدكتور تيودور بلهارس.

وقد تعرضت هذه التماثيل لكثير من عوامل التلف مثل الصدأ، وسقوط ألوان زيتية على التمثال النصفى. وتم تنظيف طبقة الصدأ بالطرق الميكانيكية المناسبة والمحاليل الكيمائية، كما تم عزل التماثيل حتى لا تتأثر بالعوامل الجوية.

كما يضم المتحف ثلاثة أختام مهمة، واحد منها عنوانه "المدرسة الطبية الخديوية"، والثانى عليه "مدرسة طب قصر العينى" بالعربية والفرنسية، والثالث للمدرسة الطبية المصرية بالعربية والإنجليزية.

الصور الفوتوغرافية والأطر

يحتوى المتحف على كم هائل من الصور الشخصية للمبعوثين الذين أوفدهم محمد على باشا ومن جاء بعده ــ حتى عصر الخديو إسماعيل ــ لدراسة الطب فى أوربا، ومشاهير الرواد من الأطباء المصريين أمثال: الدكتور محمد على البقلى، والدكتور محمد شافعى بك، والدكتور حسن محمود باشا، والدكتور محمد درى باشا، والدكتور على باشا إبراهيم وغيرهم. وبعض من هذه الصور بحجم كبير جدا، وبعضها الآخر بحجم صغير. وقد وجدت هذه الصور فى حالة سيئة من الحفظ، وبها تكسر وتآكل فى طبقة الجيلاتين، ولها أطر مهشمه وطبقة الكرتون المدعمة للصور متهالكة ومشبعة بالحموضة. وقد تم عمل الرتوش اللازمة وترميم الأطر القديمة ذات القيمة العالية باستنساخ الأجزاء الناقصة منها.

الخرائط التاريخية

يحتوى المتحف على عدد كبير من الخرائط التاريخية للقطر المصرى منذ بداية الخليقة

وحتى عصر الخديو إسماعيل، وهذه الخرائط مهداة من الأمير عمر طوسون.

وقد وضعت خطة تسجيل لمقتنيات المتحف تقوم على رصد القطع ووضعها حسب أهميتها وتاريخها وحجمها ومساحتها، بحيث لا يتم تغيير موضعها إلا بعد الرجوع إلى دفاتر الترقيم والوصف وبطاقات التسجيل، وتتولى هذه المهمة إدارة مختصة تخضع فى عملها هذا لتعليمات الهيئة المختصة بالآثار العامة بما يضمن الحفاظ على مواد المتحف وحمايتها من التلف أو التهريب. كما تم وضع خطة تأمين للمتحف ترتكز على عنصرين: بشرى وتكنولوجى. أما العنصر البشرى فلأنه الأساس فى أى حراسة، وتقوم على كاهله مراقبة الأجهزة الإلكترونية للمتحف ككل، ولكل قاعة من قاعاته الثلاث. وأما العنصر التكنولوجى فإن كتاب دليل تنظيم المتاحف الذى ألفه أدامر فيليب وترجمه د. محمد حسن عبد الرحمن عام ١٩٩٣ هو مرجعنا فى اختيار وسائل تأمينه، بالإضافة إلى أن ندرة المواد التى يضمها متحف قصر العينى أملت علينا تكثيف وسائل التأمين. كما أن إحكام الرقابة فرض على القائمين بهذا المشروع وضع رسوم توضيحية لمداخل ومخارج القاعات، حتى تكون الحراسة محكمة، وفى حلقات متتابعة يصعب معها أن تتعرض كنوز المتحف للسرقة، كما تم تركيز خطة التأمين على الرقابة السرية، إلى جانب الإشراف لفرق الحراسة العادية وإجراءات الأمن العام فى هذا المجال.

* * *

المصادر:

١- محمود المناوى ــ قصر العينى مدرسة وتاريخ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية. إصدار نقابة أطباء مصر القاهرة (١٩٧٩).

٢- محمود فوزى امناوى ــ حكماء قصر العينى ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة (١٩٩٩).

٣- محمود فوزى المناوى وحسنى نويصبر ــ تاريخ النهضة الطبية المصرية، متحف قصر العينى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة (٢٠٠٠).

٤- محمود فوزى المناوى ــ حكماء وشعراء... من أون إلى قصر العينى، مركز الأهرام للترجمة والنشر ــ القاهرة (٢٠٠١).
٥- نجيب محفوظ ــ تاريخ التعليم الطبى فى مصر، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة (١٩٣٥).

الشكر والتقدير للجهد والدعم الذى قدمه العلماء والأصدقاء الأساتذة حسنى نويصر، صلاح الدين البحيرى، جاب الله على جاب الله، رأفت النبراوى، حسام الدين عبد الحميد، فاطمة حلمى، ياسين زيدان وجميع العاملين بمركز صيانة الآثار والمخطوطات ومقتنيات المتاحف بجامعة القاهرة.

الجمعية الطبية المصرية
في عهدها الأسبق

مقدمة:

قبل الدخول في تاريخ الجمعية الطبية المصرية، يجب أن نشير إلى أنه قد حاول كثير من الأطباء المصلحين إنشاء جمعية طبية في أواخر القرن التاسع عشر، إلا أنها اندثرت في السنة الأولى من القرن العشرين، وكان يرأسها محمد شكرى باشا. ثم حاول الدكتور علوى باشا والدكتور نظمى بك تكوين جمعية طبية غير أنها لم تكن أسعد حظًا من سابقتها، ثم تألفت بعد ذلك جماعتان من الأطباء الذين تجمعهم صلة خاصة: جماعة قصر العينى وجماعة أخرى ــ كان أهم أعضائها الدكتور محمود بك عبد الوهاب والدكتور سعد بك الخادم، وقد أدت هاتان الجماعتان خدمات جليلة في تقليص أوجه الخلاف وتقوية الروابط التى مهدت الطريق بعد ذلك لتكوين الجمعية الطبية المصرية. ثم حاول الدكتور على باشا إبراهيم جمع كلمة الأطباء لإنشاء جمعية أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) فتحطمت مجهوداته على صخرة عدم تعاون الأطباء الأجانب مع الأطباء المصريين، وكانت للأجانب الكفة الراجحة. وكانت لهم جمعية سموها الجمعية الطبية الدولية، ثم حاول الجمع بين الأطباء المصريين والأجانب لعمل جمعية مختلطة وذلك في اجتماع عقد في الجامعة المصرية الأهلية ففشلت المحاولة.

كان لابد من هذه المقدمة، لأن تاريخ الجمعية الطبية المصرية هو التاريخ الحقيقى للنهضة الطبية المصرية في القرن العشرين، ويرتبط بها أيضًا التعليم الطبى المستمر، والروابط الطبية العربية ومنها إنشاء اتحاد الأطباء العرب، وكذلك الروابط الطبية المصرية الإفريقية والآسيوية والعالمية.

وفى يوم الجمعة ١٦ يناير سنة ١٩٢٠ (٢٥ ربيع الأول ١٣٣٨هـ)، اجتمع ٤٢ طبيبًا بدار الجامعة المصرية واتفقوا على إنشاء الجمعية وأسموها (الجمعية الطبية المصرية)، وانتخبوا فيما بينهم مجلس إدارة يرأسه شيخ الأطباء في ذلك

العصر المصلح الكبير الدكتور عيسى حمدى باشا ناظر مدرسة الطب ومدير مستشفى قصر العينى ومستشفيات الحكومة سابقًا، وكان الغرض من إنشاء الجمعية فى ذلك الوقت (١) إحياء اللغة العربية الطبية والتمشى بها مع العلم الحديث، (٢) الاهتمام والبحث بنوع خاص فى الأمراض المصرية البحتة والأمراض الأخرى التى تتشكل بأشكال مختلفة عند انتشارها فى مصر، (٣) النهوض الأدبى بما يليق بكرامة الطب والأطباء. وتكون أعضاء أول مجلس إدارة للجمعية من "الدكتور/ عيسى حمدى باشا رئيسًا ــ الدكتور/ على باشا إبراهيم وكيلاً ــ الدكتور/ نجيب إسكندر باشا كاتمًا للسر، ومحمد كامل الخولى ومحمود بك ماهر ومحمد ظاهر ونجيب باشا محفوظ ومحمد صالح وسالم هنداوى ومحمد سامى كمال أعضاء".

والجمعية الطبية المصرية صارت فى ١٤ مايو ١٩٤١ الجمعية الملكية الطبية المصرية وسجلت بوزارة الشئون الاجتماعية بتاريخ ١٩٤٩/٧/١٨ حتى تكون تحت رعاية الدولة احترامًا منها لقوانين الدولة ثم أشهرت وفقًا لأحكام القانون رقم ٣٨٤ لسنة ١٩٥٦ تحت رقم ١٠٢٤ محافظة القاهرة اعتبارًا من ١٩٥٨/١٢/٢٤ ثم أشهرت وفقا لأحكام القانون رقم ١٩٦٤ تحت رقم ٩٢٤ فى ١٩٦٧/٢/٢٧ ثم حولت إلى جمعية مركزية بناءً على نصيحة وزارة الشئون الاجتماعية تحت رقم ٣٦٦ فى ١٩٩٧/٦/٢٨ ووافقت الوزارة على هذه اللائحة لتوفيق أوضاعها طبقا للقرار الملكى الصادر عام ١٩٣٣ المنشور بالوقائع المصرية عدد ٦٥ فى ١٧ يوليو ١٩٣٣ بشأن الاتحاد الملكى لاتحاد الجمعيات الطبية المصرية والمادة الأولى من القانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٣ والتى تسير عليها الجمعية الطبية المصرية وشعبها ومجموعاتها.

وقد أحرزت الجمعية الطبية المصرية تقدمًا كبيرًا فى المجال الطبى القومى والعربى منذ إنشائها حتى اليوم، ومن أهم إنجازاتها:

١- **شعب الجمعية ومقرها:** كان فى سبيل تحقيق أغراض الجمعية العلمية تكوين الشعب من أخصائيها فى فروع الطب المختلفة، وقد وصل عدد الشعب إلى

٤٠ شعبة وست مجموعات. وكانت جمعية الجراحين المصرية (١٩٣٢) أولى هذه الشعب، تلتها الجمعية المصرية لطب الأطفال (١٩٣٣)، ثم الجمعية العربية لطب المناطق الحارة والطفيليات (١٩٣٥)، والجمعية المصرية للأمراض العصبية (١٩٣٥)، والجمعية المصرية لأمراض الصدر والتدرن (١٩٣٦)، وتلتها بعد ذلك باقى الشعب التى ازدادت عددًا ونشاطًا، وتقوم باجتماعات علمية سنوية وندوات للتعليم الطبى المستمر.

٢- **فروع الجمعية:** أنشئت عام ١٩٢٢ جمعية طبية بالإسكندرية متصلة اتصالاً تامًا بالجمعية الطبية المصرية، ثم تكونت بعض الفروع فى الزقازيق وفى شبين الكوم وأسيوط والمنيا وملوى والسويس وسوهاج والفيوم وأسوان.

٣- **مجلة الجمعية الطبية المصرية:** فى عام ١٩١٧، كتمهيد لإنشاء الجمعية الطبية المصرية، تبرع عشرة من الأطباء بقصر العينى بمبلغ ٥٠٠ جنيه أوقفوها على إنشاء المجلة الطبية المصرية، وفى أول إبريل عام ١٩١٧ (٩ جمادى الآخر ١٣٣٥هـ) صدر العدد الأول من المجلة الطبية المصرية، وكان مقرها شارع عبد الدايم بباب اللوق، ثم انتقلت عام ١٩٢١ إلى شارع عبد العزيز، ثم تطوع الدكتور/ على إبراهيم فجعل مركزها عيادته فى شارع الصنافيرى بعابدين بالقاهرة عام ١٩٢٧، وحددت المجلة فى مقدمتها الأولى الأغراض الأساسية لإنشائها، وتتمثل فى الآتى:

١- ترقية لغة الطب وتخير الألفاظ الاصطلاحية العربية الصحيحة الموحدة ليتفاهم بها أطباء جميع الأقطار العربية. وقد ساعدت الجمعية الطبية المصرية فى طبع قاموس شرف الطبى وهو أحد أعضائها، كما كانت على اتصال مباشر بمعاهد العلم واللغة ومنها مجمع فؤاد الأول للغة العربية (مجمع اللغة العربية الآن) الذى أنشأه الملك فؤاد الأول عام ١٩٣٢.

٢- نشر الأبحاث الطبية الخاصة بالأمراض المتوطنة بمصر.

٣- الاحتفاظ بكرامة الطب والأطباء فى مصر.

وظلت المجلة تصدر باللغة العربية حتى عام ١٩٢٨، وفى ذلك العام أخذت المجلة تضم صفحات باللغة الإنجليزية وذلك "بهدف اتساع انتشارها وتمكين الزملاء المصريين من الاعتراف بنتاج مجهودهم العلمى فى الأوساط العلمية العربية"، ثم زادت نسبة الصفحات المخصصة للمقالات باللغة الإنجليزية تدريجيًا حتى أصبحت منذ الأربعينات تصدر باللغة الإنجليزية؛ إلى جانب بعض الصفحات باللغة العربية.

وابتداء من عام ١٩٥٣، بدأت بعض شعب الجمعية تصدر مجلاتها المتخصصة والتى بدأت بمجلة الجمعية المصرية لأمراض النساء والولادة (١٩٥٣)، ومجلة الجمعية المصرية لطب الأطفال (١٩٥٣) فى ذات العام.

وفى عام ١٩٦٣ بدأ نشر ركن الممارس العام، ثم صار إصدار مجلة الممارس العام بالاشتراك مع نقابة الأطباء ومؤسسة الأدوية. وبرئاسة الأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم مؤسس طب أمراض القلب وعميد كلية طب قصر العينى الأسبق ابتداء من عام ١٩٦٧، إلا أنها توقفت عن النشر فى نهاية السبعينات لنقص الموارد المالية.

٤- **الاجتماعات العلمية والندوات:** بدأتها الجمعية الطبية عام ١٩٢٠ بعشر محاضرات، ثم أصبح هناك اجتماع علمى سنوى وندوات سنوية للممارس العام والأخصائى الناشئ. وكانت جميع المحاضرات تلقى فى دار المجمع العلمى المصرى بوزارة الأشغال، ثم فى مدرسة طب قصر العينى لعدم وجود مكان خاص بالجمعية، إلى أن أنشأت الجمعية الطبية المصرية مبناها (مبنى دار الحكمة) فى عام ١٩٤١، وأصبحت جميع الاجتماعات والندوات تتم فى دار الحكمة.

٥- **المؤتمرات:** المحلية والعربية والدولية، بدأت عام ١٩٢٨ فى القاهرة (بمناسبة الاجتماع العام التاسع)، فالإسكندرية عام ١٩٢٩، فالقاهرة عام ١٩٣٠، ثم تقرر أن يعقد المؤتمر السنوى مرة فى مصر ومرة أخرى فى إحدى الدول العربية، وعقد أول مؤتمر خارج مصر فى مدينة بيروت عام ١٩٣١، ثم تلاه

القدس ١٩٣٣، دمشق ١٩٣٥، بغداد ١٩٣٨، بيروت ١٩٤٤، حلب ١٩٤٨، لبنان ١٩٥١، وكان آخر مؤتمر عقد بالقدس عام ١٩٦٤. وتعتبر هذه المؤتمرات ظاهرة مهمة من ظواهر الوحدة العربية وتبادل الثقافة الطبية بين مختلف البلاد العربية، ولذلك فقد أطلق على هذا المؤتمر السنوى "المؤتمر الطبى العربى منذ عام ١٩٦٢".

وبالإضافة إلى بداية المؤتمرات الطبية العربية، فقد استضافت مصر المؤتمر العالمى لأمراض المناطق الحارة فى ١٥ ديسمبر ١٩٢٨ وذلك بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس مدرسة الطب عام ١٨٢٧، كما كانت المنظمة للمؤتمر الطبى الآسيوى الإفريقى الأول الذى عقد بالقاهرة فى الفترة من ٢٤-٣٠ أكتوبر ١٩٦٤.

٦- **اتحاد الأطباء العرب:** كان من أهم توصيات المؤتمر الطبى العربى التاسع والعشرون الذى عقد بالقاهرة عام ١٩٦١ إنشاء منظمة عربية تعمل داخل نطاق الجمعية الطبية المصرية (اتحاد الأطباء العرب)، متعاونة مع جامعة الدول العربية ومنظمة الصحة العالمية، وكان هذا المشروع الذى وضعته الجمعية الطبية المصرية ضمن أهدافها الأولى، وتواصل العمل لوضعه موضع التنفيذ، وقد تكون اتحاد الأطباء العرب فى عام ١٩٦١، وتنص المادة الأولى من قانون إنشائه على أن اتحاد الأطباء العرب يتألف من مجموع الأطباء العرب العاملين فى شتى أنحاء الوطن العربى، ومن أهم أهدافه: توحيد شروط مزاولة المهنة، وتوحيد المناهج، والعمل على تعليم الطب باللغة العربية. وقد ترتب على تكوين الاتحاد أن أصبحت المؤتمرات الطبية العربية الدورية مؤتمرات فى ذات الوقت لاتحاد الأطباء العرب، وذلك منذ عقد المؤتمر الطبى العربى الثلاثين الذى أصبح المؤتمر الطبى الأول لاتحاد الأطباء العرب. وتستضيف الجمعية الطبية المصرية مقر اتحاد الأطباء العرب فى دارها دار الحكمة إلا أن نشاط اتحاد الأطباء العرب زاد بشكل كبير فى السنوات الأخيرة مما يستلزم تواجد مبنى خاص به خارج دار الحكمة التى اكتظت بموظفيه وإداريى نقابة الأطباء وهو ما أبعد غالبية شعب الجمعية الطبية عن مقرها الأساسى بدار الحكمة. ولقد نتج عن هذا البعد

الفعلى لمقار الشعب قصور فى الإشراف على هذه الشعب، وتدهور فى نظامها المالى والإدارى، وضعف الرابطة بين الجمعية الأم وشعبها.

٧- **مكتبة دار الحكمة:** يرجع تاريخ تكوين مجموعاتها المكتبية إلى تاريخ صدور مجلة الجمعية الطبية المصرية عام ١٩١٧، ومنذ عام ١٩٢٩ بدأت التبادل مع مجلات الهيئات الطبية بالخارج، ولكن التاريخ الحقيقى لإنشاء المكتبة يرجع إلى عام ١٩٤١ عند افتتاح مبنى دار الحكمة. والمكتبة تستقبل أكبر من ٣٠٠ دورية أقدمها ١٨٨٥ للمجلة الطبية البريطانية، وعام ١٩٠٠ لمجلة الجمعية الطبية الأمريكية. والمكتبة إحدى مكتبات البحث المتخصصة لتيسير الخدمات للباحثين.

٨- **برامج الدراسات العليا:**

أولاً: دراسات ودورات الممارس العام والأخصائى الناشئ لمدة شهر سنويا، وقد بدأت فى شهر نوفمبر ١٩٦٥، وأصبحت سنوية.

ثانيًا: مشروع شهادة الزمالة للدراسات العليا للأطباء العرب الذى بدأت فكرته فى المؤتمر الذى عقد بالكويت فى إبريل ١٩٦٦، ووكلت الجمعية الطبية المصرية فى وضع المشروع المتكامل. ونتيجة لذلك أصدر المؤتمر الطبى العربى السادس لاتحاد الأطباء العرب (الطبى العربى الخامس والثلاثون) المنعقد فى المدة من ١١-١٧ يناير ١٩٦٧ بالخرطوم مشروع إنشاء شهادة الزمالة للدراسات العليا للأطباء العرب، والتى أصبحت الآن (المجلس العربى للتخصصات الطبية).

ثالثًا: أنشأت الجمعية الطبية المصرية أول دراسة متكاملة للممارسة العامة للجمعية الطبية المصرية عام ١٩٨٦، وقد تخرج فيها العديد من الدفعات وبلغ عددها ٢٤ دفعة، ووافق المجلس الأعلى للجامعات على معادلتها بدرجة دبلوم الدراسات العليا التى تمنحها الجامعات المصرية (قرار ٢١٠ بتاريخ ١٩٩٧/٦/١٤). ولهذه الدراسة أهمية كبيرة فى تنمية المعلومات والمهارات الطبية للممارس العام (طبيب الأسرة)

والأخصائى الناشئ لصالح صحة المواطنين ووقايتهم من الأمراض وعلاجهم وتخفيف آلامهم حيث يشتمل برنامج الدراسة على: شهرين للأمراض الباطنية وشهرين للجراحة وأسبوعين لكل من تخصصات أمراض النساء والتوليد ــ الأطفال ــ الأشعة ــ طب المناطق الحارة ــ الأمراض العصبية والنفسية ــ الأمراض الجلدية والتناسلية ــ العظام ــ الأذن والأنف والحنجرة ــ أمراض الكلى ــ المسالك البولية ــ التخدير، ويقوم بالتدريس نخبة ممتازة من السادة الأساتذة من كليات الطب وصفوة من عمداء كليات الطب ورؤساء الجمعيات الطبية المتخصصة أغلبهم حاصلون على جوائز مبارك وجوائز الدولة التقديرية وجوائز الدولة التشجيعية، وجميعهم من المشهود لهم بالعلم الغزير والعطاء السخى والمستمر.

وساعات الدراسة للمقررات فى التخصصات العلمية كالآتى:

الأمراض الباطنة وفروعها ٥٠ ساعة، الجراحة وفروعها ٥٠ ساعة، الأطفال ٢٥ ساعة، أمراض النساء والتوليد ٢٥ ساعة، الأمراض الجلدية والتناسلية ١٥ ساعة، الأمراض العصبية والنفسية ١٠ ساعات، طب الأنف والأذن والحنجرة ١٠ ساعات، طب العيون ١٠ ساعات، وسائل تشخيصية مثل الأشعة ١٠ ساعات، طوارئ وحالات حرجة ٨ ساعات، الصحة العامة وطب المجتمع ١٤ ساعة، الصحة المهنية ٤ ساعات، الأمراض المعدية وطرق الوقاية منها ١٥ ساعة وطب الأسرة ١٢ ساعة (طبقا لتوجيهات وزير الصحة والسكان بتاريخ ٢٠٠٥/٩/١٠).

والبرنامج الدراسى يشمل التدريب العملى والإكلينيكى شهرين بالأمراض الباطنة بأقسام كليات الطب المصرية، كما يشمل التدريب العلمى والإكلينيكى شهرين بأقسام الجراحة بمستشفيات كليات الطب المصرية. ويحضر هذه الدراسة أطباء من جميع وحدات وزارة الصحة

بالمحافظات ومن التأمين الصحى ومن هيئات ومؤسسات طبية مختلفة كما يحضرها أطباء أحرار.

ومدة الدراسة عام، والدراسة صباحية من الساعة العاشرة صباحًا إلى الساعة الواحدة ظهرًا يوميًا عدا أيام الخميس والجمعة والعطلات الرسمية.

وتقوم وزارة الصحة بمنح الدارسين لهذه الزمالة من أطباء الوزارة تفرغ مدة العام الدراسى بأجر، ويجرى الإشراف على الحضور والانصراف للدارسين وإبلاغ جهة عمل كل طبيب شهريًا عن انتظامه فى حضور الدراسة والأيام التى يتخلف عنها، وقد تم تخريج ٢٤ دفعة آخرها الدفعة الرابعة والعشرون فى ديسمبر ٢٠١٠ إلا أن الجمعية الطبية المصرية اضطرت لتجميد دراسة الدفعة ٢٥ لأن المجلس الأعلى للجامعات أوقف الاعتراف بتوثيق شهادات الزمالة للحاصلين عليها دون أسباب مقنعة.

رابعًا: زمالة أمراض الكلى عام ١٩٨٧.

خامسًا: قامت الجمعية الطبية المصرية وشعبها المتخصصة بعمل جميع الدراسات والمقررات ومراجع التدريب ونظم التقييم والامتحانات والمتابعة الخاصة بسبعة تخصصات طبية، تمنح بمقتضاها شهادات مهنية طبية تخصصية كانت الأساس لإنشاء المجلس المصرى للتخصصات الطبية التابع للمجلس الأعلى للجامعات، وقد سلمت جميع الدراسات والبرامج المتكاملة لأمانة المجلس الأعلى للجامعات.

٩- **مبنى دار الحكمة:** ظلت الجمعية الطبية المصرية، منذ عام ١٩٣٠، تسعى لإنشاء المبنى الحالى، ووافقت الحكومة عام ١٩٣٢ على استئجار الأرض الحالية بناء على عقد إيجار فى ١١ يونيو ١٩٣٣ بين محمد شفيق باشا وزير المالية بالإنابة وعلى باشا إبراهيم رئيس الجمعية الطبية المصرية بناء على القانون رقم ٤ لسنة ١٩٣٣ وبموجبه تم تأجير مساحة ٢١٥٤ مترًا بالسيدة

زينب، ومدة الإيجار تسعة وتسعون عامًا تبدأ من ٢٢ أبريل ١٩٣٣ وينتهى فى إبريل ٢٠٢٣ بإيجار إسمى قدره واحد جنيه سنويًا على كامل المساحة، ووضع حجر الأساس فى سبتمبر ١٩٣٦ على مساحة ٢١٥٤ مترًا بشارع قصر العينى فى موقع مناسب ومكان ملائم للأطباء، فهى من جانب على مقربة من كلية الطب الوحيدة فى هذا الوقت ومستشفى قصر العينى ومستشفى فؤاد الأول للولادة ومستشفى الكلب والأبحاث بفم الخليج ومعهد الرمد التذكارى بالجيزة، ومن جانب آخر على مقربة من مستشفى الملك ووزارة الصحة وتفتيش صحة المدينة ومعامل وزارة الصحة الكيميائية والبكتريولوجية، أى أنها فى حى الطب ومنطقة الأطباء. وقد وضع رسمها على الطراز العربى مصطفى بك فهمى المهندس المعمارى المعروف، واعتمدت الرسومات الخاصة بالمبنى فى ٣٠ يونيو ١٩٣٣ وتم إرساء عملية المبنى على صيام محمد وشركاه فى ٤ أغسطس ١٩٣٥ وفتح أول اعتماد وقعه محمد طلعت حرب باشا وفؤاد بك سلطان عن بنك مصر مندوبان عن الجمعية الطبية المصرية وحاز إعجاب وموافقة جلالة الملك فؤاد شخصيًا. وفى الساعة الثامنة من صباح يوم الإثنين ٢٠ جمادى الآخر ١٣٥٥ هجرية الموافق ٧ سبتمبر ١٩٣٦ وضع حجر الأساس لمبنى دار الحكمة، والذى تكلف بناؤه فى ذلك الوقت ٢٢.٠٠٠ جنيه دفعتها الجمعية من مدخراتها لهذا الغرض ومن تبرع أعضائها ومن سلفة حصلت عليها من الحكومة تم تسديدها على عشر سنوات. ويعد المبنى تحفة فنية عربية إسلامية، وقد سميت بهذا الاسم وهو اسم طبى تاريخى ــ تيمنًا باسم المعهد الطبى الذى أنشأه الخليفة المأمون فى بغداد والفاطميون فى مصر، وقد قررت مصلحة الأموال المقررة التابعة لوزارة المالية ربط العوائد على دار الحكمة ملك الجمعية الطبية المصرية فى ٢٧ مارس ١٩٤١ وقدرها ١٨٤.٨٠٠ جنيهًا. وافتتح مبنى دار الحكمة فى ١٧ مايو ١٩٤١.

١٠- **الاتحاد الملكى للجمعيات الطبية ونقابة الأطباء:** إنشاء الاتحاد الملكى للجمعيات الطبية عام ١٩٣٤، ثم أنشأت الجمعية الطبية المصرية نقابة الأطباء عام ١٩٤٠ للدفاع عن مصالحهم.

١١- **إنجازات وطنية وقومية للجمعية الطبية المصرية:** والتى يجب أن تذكر تاريخيًا لما لها من تأثير فى مجريات الأمور، منها:

- جاهدت الجمعية منذ إنشائها لتعيين أطباء مصريين بدلاً من الأجانب فى مناصب التدريس بمدرسة الطب، وكانت هناك لجنة دائمة فى لندن، وطالبت الجمعية عام ١٩٢٠ بأن يكون مقر هذه اللجنة بالقاهرة.
- قامت الجمعية بالمساعى اللازمة للموافقة على مشروع تجديد بناء مدرسة الطب وقصر العينى فى ١٩٢٠-١٩٢٥ (مستشفى المنيل الجامعى).
- تمصير مجلس الصحة الاستشارى.
- المساهمة فى تأسيس الجمعية الطبية العالمية، وقد توج نشاط الجمعية الطبية المصرية عالميًا بتكريم مصر وتكريم العالم العربى والإسلامى بانتخاب الأستاذ الدكتور/ إبراهيم بدران أحد أعضاء مجلس إدارة الجمعية البارزين بإجماع الأصوات رئيسًا للجمعية الطبية العالمية لمدة ثلاث سنوات من سنة ١٩٩٢-١٩٩٥.

رؤساء الجمعية الطبية المصرية (١٩٢٠-٢٠١١)

الأستاذ الدكتور عيسى باشا حمدى
الأستاذ الدكتور ظيفل باشا حسن الوردانى
الأستاذ الدكتور على باشا إبراهيم
الأستاذ الدكتور سليمان باشا عزمى
الأستاذ الدكتور عبد الله بك الكاتب
الأستاذ الدكتور عبد العزيز بك سامى
الأستاذ الدكتور محمد الشافعى الظواهرى

الأستاذ الدكتور حامد محمود أرناؤوط

أمناء الجمعية الطبية المصرية (١٩٢٠-٢٠١١)

الأستاذ الدكتور نجيب باشا اسكندر
الأستاذ الدكتور محمد بك خليل عبد الخالق
الأستاذ الدكتور توفيق بك عمر
الأستاذ الدكتور على بك حسين شعبان
الأستاذ الدكتور أحمد حافظ موسى
الأستاذ الدكتور محمد الشافعى الظواهرى
الأستاذ الدكتور محمود فوزى المناوى

إن تاريخ الجمعية الطبية المصرية يبين أن أبناء مصر استطاعوا بعقولهم النيرة ووطنيتهم الجارفة أن ينشئوا لمصر والعالم العربى والإسلامى حضارة طبية علمية مميزة ــ فلا حاضر لأمة تجهل ماضى أسلافها ولا مستقبل لشعب ينكر خصائص علمائه وفضائل أبنائه، وستظل مصر ولادة.

وكما قال الشاعر الطبيب إبراهيم ناجى:

وماذا ينكرون عليك مصر ... بساطك أخضر وثراك تبر
إذا طلبوا السلام ففيك صفح ... وإن طال الظلام فأنت صبح
وإن سقموا أتوا مصرا فصحوا ... وجاؤوا يستعيدون الشبابا

"والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله"

علاج محدودى الدخل*

نظرة تاريخية: تعد الرعاية الصحية التزاماً وتكريما ماديا وأدبياً من الدولة تجاه المواطنين الذين أمضوا سنوات حياتهم فى خدمتها وتنمية قطاعات العمل بها، وسوف تظل الخدمة العلاجية هى الأساس فى سياسة الرعاية الصحية ــ إلى جانب الخدمات الوقائية ــ وذلك نظراً لارتباطها المباشر بصحة الأفراد وظروفهم المحيطة فى حالة المرض والعلاج. ومن هنا فإن موضوع علاج المواطنين غير القادرين على تحمل نفقات العلاج من القضايا المهمة التى توليها البلاد اهتمامها وعنايتها منذ زمن بعيد. وقد شمل هذا الموضوع صوراً عديدة سواء من الحكومة أو الجهات المانحة من هيئات ومؤسسات أو الأفراد.. إذ إن الثروة البشرية هى أهم ثروات البلاد، وانصرفت تلك الجهود التى تهتم بعلاج المرضى غير القادرين حاليا نحو الإنفاق على بناء المنشآت الصحية إسهاماً فى رفع المعاناة عن هؤلاء.. وقد كان لهذه الجهود دور بارز فى هذا الاتجاه، ويمكن تلخيص ذلك على النحو الآتى:

١) الجهود العلاجية التى تمت فى العصر الإسلامى الوسيط مثل إنشاء البيمارستانات المصرية، وعلى سبيل المثال: بيمارستان ابن طولون والذى قصر فيه العلاج على غير القادرين، ونص على ألا يعالج فيه جندى ولا مملوك.. وبيمارستان قلاوون (مكانه حالياً مستشفى رمد قلاوون) الذى أنشئ سنة ٦٧٣هـ، والأوقاف العديدة التى خصصت لبناء دور لعلاج المرضى وتغذيتهم.

٢) وكانت أول خطوة فى علاج المواطنين محدودى الدخل فى العصر الحديث (عهد محمد على باشا)، عندما أنشئت مدرسة الطب المصرية فى أبو زعبل عام ١٨٢٧م، ثم نقلت إلى مبنى قصر العينى لسهولة

---

* دراسة مقدمة للمجالس القومية المتخصصة: المجلس القومى للخدمات – شعبة الخدمات الصحية والسكان، دورة عمل ٢٠٠٤م.

وصول المواطنين غير القادرين إليه؛ برا أو بطريق النيل.

٣) وفى عام ١٨٣٨ ذكر تقرير لوزير المعارف أنه تم إنشاء مدرسة الولادة لتخريج مساعدات ممرضات "إن خريجات هذه المدرسة وزعن على الجهات المختلفة فى مصر حيث كن يشتغلن مجانا" (تقرير مسيو ساكوت لوزير المعارف فى فرنسا الصادر عام ١٨٦٨).

٤) وفى عام ١٨٨٥ فتح الدكتور عيسى باشا حمدى رئيس المدرسة الطبية المصرية أبواب العيادة الخارجية لمدرسة قصر العينى للجمهور غير القادرين، فأمها الناس بالمئات والألوف حتى قال اللورد كرومر فى تقريره "إنه يخشى الاضطرار لقفلها لازدياد عدد المترددين عليها".

٥) يعد محمد علوى باشا أول من اهتم بإجراء إحصائيات عن انتشار أمراض العيون فى مصر.. وله رسالة فى ذلك عنوانها "العمى وتحسين حالة العميان فى مصر" عام ١٩٠٢. وهو العام الذى أنشئ فيه قسم الرمد وقسم البلهارسيا بمصلحة الصحة وبعض المستشفيات المتنقلة على مستوى القطر لعلاج أمراض العيون والأمراض المتوطنة. وكانت الشئون الصحية تابعة لمصلحة الصحة بوزارة الداخلية، حتى أنشئت الوزارة فى أغسطس ١٩٣٦ ونقل إليها جميع الخدمات التى كانت تؤدى فى وحدات الصحة التى كانت تابعة لوزارة الداخلية.

كما أقنع محمد علوى باشا الأميرة فاطمة إسماعيل بالتبرع لإنشاء الجامعة الأهلية، وكان لجهوده أن أنشئ "معمل الرمد التذكارى" إحياء لذكرى العمال المصريين الذين قتلوا فى الحرب العالمية الأولى.

٦) ولما كان علاج غير القادرين ــ ولا سيما الأطفال ــ من المشكلات القومية، فقد أسس عام ١٩١٢ كل من الدكتور حافظ باشا عفيفى "أول طبيب أطفال مصرى متخصص" والدكتور سامى كمال جمعية حماية الطفولة، كما أنشئ مستشفى أبو الريش "قلعة طب الأطفال فى مصر" وقامت جامعة فؤاد الأول "جامعة القاهرة" بشرائه وضمه إلى مستشفى

قصر العينى لعلاج غير القادرين. كما أنشئ قسم رعاية الأمومة والطفولة من الولادة إلى سن ٦ سنوات بوزارة الصحة يتبعه عدة مراكز بالمدن، إلى جانب تقديم خدمات رعاية الأمومة والطفولة فى الوحدات الصحية والريفية التى أنشئت فيما بعد.

٧) وفى عام ١٩٢٠ أوقف الدكتور عيسى باشا حمدى رئيس المدرسة الطبية وأول رئيس للجمعية الطبية المصرية ٤٠٠ فدان من أجود الأراضى بكفر شبرا هور ــ مركز السنبلاوين ــ لبناء مستشفى عمومى لتطبيب الفقراء بلا تمييز.

٨) وفى عام ١٩٢٨ فى عهد وزارة محمد باشا محمود أنشئت المستشفيات المركزية فى العديد من مراكز المديريات بمساهمة الموسرين والأعيان.

٩) وفى ديسمبر ١٩٢٨ كان الملك فؤاد يريد بناء قصر لابنه فاروق فى مكان مستشفى المنيل الجامعى (قبل إنشائه) حتى يكون بجوار منافسه الأمير محمد على، فعارض على باشا إبراهيم ذلك فى البرلمان وقال "إن جلالة الملك عنده سرايات كثيرة، يمكن أن يعطى ابنه الأمير فاروق أيا منها، وإن المريض المصرى الفقير أولى بهذه المنطقة" ووافق البرلمان على هذا الطلب، وقد استدعاه الملك فؤاد إلى القصر الملكى وقال: "سوف أضع حجر الأساس بنفسى فى هذا المكان". (عن الدكتور حسن على إبراهيم والدكتور على إبراهيم).

١٠) وجهت الحكومة عنايتها لعلاج مرضى الدرن. خاصة غير القادرين منهم، فبدأ علاج السل بالقطر المصرى عام ١٩٢٨ بعد أن جعل ضمن الأمراض الواجب التبليغ عنها بالجدول الملحق بقانون الأمراض المعدية.. وفى أوائل سنة ١٩٢٩ أنشئ مستوصف للأمراض الصدرية بالقاهرة، وآخر بالمنصورة.. وفى أوائل عام ١٩٣٧ أنشئ قسم للعلاج والوقاية من الأمراض الصدرية بوزارة الصحة.. كما تم إنشاء ١٩

مستوصفا ــ منها ٣ بالقاهرة و ١٠ بالوجه البحرى و ٦ بالوجه القبلى.

وكانت مصحة فؤاد بحلوان تابعة لوزارة الأوقاف قبل أن تضم إلى وزارة الصحة عام ١٩٣١.. وفى عام ١٩٣٦ أنشئت مصحات لسل العظام، منها المصح البحرى بالإسكندرية، وآخر فى حلوان سمى مستشفى الأميرة خديجة عباس حليم التى تبرعت بقصرها.. ثم بدئ فى إنشاء مستعمرات الناقهين من السل لغير القادرين، فأنشئت فى نوفمبر عام ١٩٤٣ أول مصحة فى قرية المهاجرين بالمرج، وكذلك المصحات الوقائية للأطفال الذين يولدون فى مصحات السل، وفى أواخر عام ١٩٣٨ أنشئت أول مصحة بالزيتون.

١١) وفى عام ١٩٣٢ ألقى الدكتور على باشا إبراهيم عميد كلية طب قصر العينى فى حفل الجامعة الأمريكية خطابا عنوانه "لمحة إلى الحياة المصرية فى مشاكلها الصحية" أشار فيه إلى تدنى الحالة الصحية فى القرى لغير القادرين، وسوء السكن والمياه غير الصالحة وندرة الرعاية الصحية وسوء التغذية، والمستوى الصحى بوجه عام.

ومن أقواله فى هذا الأمر: "ليس الوطن بأرضه ومائه وسمائه فقط، بل كذلك بأهله الأصحاء الأقوياء"، "واجبنا أن نوجه همة كبيرة نحو إصلاح القرى إصلاحا جذريا"، "الشوارع فى بلادنا هى حدائق الفقراء الذين لا تساعدهم شئونهم على الانتقال للمنتزهات، وهى ملعب الأطفال وملهاهم، ومهربهم من بيوتهم المظلمة".

وقد أنشئ قسم الصحة المدرسية لرعاية تلاميذ المدارس وقائيا وعلاجيًا، وخاصة مكافحة الأمراض الطفيلية، كما أنشئت مستشفيات الصحة العقلية ومستشفيات الحميات (العباسية وإمبابة) ومستشفيات الجذام (الخانكة)، ومستشفى الحوض المرصود لعلاج الأمراض الجلدية والتناسلية.

١٢) اهتمت الجمعية الطبية المصرية منذ إنشائها بعلاج غير القادرين.. ولما كان نحو ٨٥% من الشعب المصرى يسكنون القرى" من التعداد البالغ فى ذلك الوقت ١٥٩٠٤٥٢٥ نسمة"، فقد عقدت الجمعية الطبية المصرية عدة اجتماعات، أهمها المؤتمر الطبى التاسع بقاعة المحاضرات الكبرى

بالجامعة المصرية والذى عقد يوم ١٤ ديسمبر سنة ١٩٣٦ برئاسة مصطفى النحاس باشا ومن أهم أبحاثه: إصلاح القرية المصرية ومشروع وزارة الصحة الذى ألقاه محمد شاكر بك وكيل وزارة الصحة للشئون القروية، واشترك فى المناقشة الدكتور محمد خليل بك عبد الخالق والدكتور عبد الواحد بك الوكيل والدكتور محجوب ثابت والأستاذ جلال حسين.. وهناك مشروع لإعادة القرية المصرية على مدى خمسين عاما، مما ساعد فى مد الرعاية الصحية لغير القادرين.. وقد تبلور ذلك فى وضع ستة مشروعات لخدمة ٣٤٠٠ قرية على مستوى القطر كله:

المشروع الأول: تعميم المياه الصالحة للشرب فى القرى.
المشروع الثانى: ردم البرك والمستنقعات.
المشروع الثالث: مجارى القرى.
المشروع الرابع: مجارى المدن والقرى التى يزيد عدد سكانها على ٩٥٠٠ نسمة.
المشروع الخامس: تنظيم القرية وتحسين مسكن الفلاح.
المشروع السادس: تعميم المجالس القروية.

١٣) مشروع الأستاذ الدكتور على حسن "مشروع إصلاح القرية المصرية ــ التغذية الكاملة شرط أساسى لعلاج غير القادرين".

"ملحوظة: فى عام ١٩٣٧ بلغ عدد السكان ١٥٩٠٤٥٢٥ نسمة، ومساحة الأطيان المزروعة ٥٣٦١٣٨١، ومجموع إيرادات الحكومة ٣٥١٧٥٢٦٠، المصروفات الحكومية ٣٥١٥٠٠٤٢، الصادرات ٣٣٩٠٣٥٥٠ ــ عن حسنين بك حسنين مراقبة مصلحة الإحصاء والتعداد".

١٤) إنشاء الأقسام المجانية لغير القادرين فى المستشفيات الأهلية، والتى قامت بإنشائها الجمعيات الأهلية غير الحكومية مثل: مستشفى الجمعية الخيرية الإسلامية بالعجوزة، والمستشفى القبطى، والمستشفى اليونانى،

والمستشفى الإيطالى، ومستشفى المبرة بمصر القديمة، ومستشفى الخازندار، ومستشفى فؤاد الأول (الجلاء للولادة) الذى شيدته وزارة الأوقاف وخصصته لعلاج المرضى غير القادرين.

١٥) مشروع الأستاذ الدكتور عبد الواحد الوكيل للمجموعات الصحية الريفية، والذى أرسى مبدأ الوقاية والعلاج لغير القادرين فى الريف المصرى (قانون رقم ٤٦ لسنة ١٩٤٢ بتحسين الصحة القروية والمعدل بالقانون رقم ٦٢ لسنة ١٩٤٧).

١٦) مشروع الأستاذ الدكتور نبوى المهندس بإنشاء ٣٠٠ وحدة ريفية، والذى اهتم أساسًا بعلاج غير القادرين من المرضى.

١٧) وفى الستينات بدأ نظام علاج المواطنين على نفقة الدولة سواء داخل البلاد ــ فى المراكز المتخصصة ــ أو خارجها لمن لا يتوافر علاجهم داخل الجمهورية، وقد تطور هذا النظام حتى أصبح اعتماده يقدر بمئات الملايين من الجنيهات.

١٨) مشروع المؤسسة العلاجية، والذى ضم المستشفيات التى كانت تابعة للجمعيات الخيرية والأهلية.. وقد خصص ٢٠% منها لعلاج المواطنين غير القادرين مجانًا، على أن تسدد الدولة عنهم نفقات علاجهم من الموازنة العامة.

١٩) فى عام ١٩٦٤ أنشئت هيئة التأمين الصحى بالإسكندرية ورأسها الدكتور محمد نصار، ثم انتقلت إلى القاهرة، وذلك بهدف رعاية العاملين صحيًا مقابل اشتراك قدره ١% من مرتب كل منهم، وأصبح هذا النظام يغطى الآن جميع العاملين بالدولة والقطاع العام.

٢٠) مشروعات المستشفيات الجامعية، والتى تمثل عملاً رائداً فى علاج المرضى غير القادرين نظراً لارتفاع المستوى العلمى للأطباء العاملين بها، وتضم هذه المستشفيات العديد من المعاهد المتخصصة مثل المعهد القومى للأورام ومعاهد الكلى. وكذا المستشفيات التابعة لوزارات أخرى

مثل الوحدات الطبية العسكرية فى المناطق النائية ومستشفيات طلبة الجامعات.

٢١) التطوير الذى قام به الأستاذ الدكتور محمود محفوظ وزير الصحة فى السبعينات من القرن الماضى، والذى شمل تطوير خدمات الإسعاف والطوارئ لغير القادرين. إلى جانب إنشاء أكثر من ١٠٠ مدرسة لتخريج الممرضات بمستوى تعليمى ثانوى وذلك عام ١٩٧٤ لرفع كفاءة الرعاية الصحية للمرضى محدودى الدخل.

٢٢) مشروع العلاج المجانى والمخفض بالعيادات الملحقة بدور العبادة الإسلامية والمسيحية، والذى يقوم به عدد كبير من الأطباء على مستوى المدن والقرى.

٢٣) مشروع رفع كفاءة العاملين والتدريب للفريق الصحى وتزويد المستشفيات بأحدث أجهزة التشخيص والعلاج، مع توفير اعتمادات مالية كبيرة لتطوير الوحدات الريفية والمجموعات الصحية، وقد قام به الدكتور إبراهيم بدران، والذى انعكس بدوره على زيادة كفاءة الخدمات الصحية فى المستشفيات الحكومية لعلاج المرضى غير القادرين.

٢٤) نظام التأمين الصحى على طلبة المدارس، وقد غطى نحو ١٥ مليون طالب أغلبهم من أبناء غير القادرين.

٢٥) مشروع مراكز علاج الأورام فى المحافظات المختلفة لعلاج المرضى محدودى الدخل.

وعلى ضوء هذا السرد التاريخى لعلاج المرضى محدودى الدخل، فإن المساهمات المادية والمعنوية الحكومية والأهلية فى تقديم الرعاية الصحية لغير القادرين، كانت وستظل سياج الأمان الاجتماعى وعنصرا رئيسًا من عناصر الأمن القومى.

المؤلف في سطور

- تاريخ البلاد ومكانته
- المؤهلات العلمية
- البعثات والإجازات الدراسية والمهام العلمية بالخارج
- الجمعيات والهيئات العلمية المنتمي اليها
- الكتب والمؤلفات العلمية
- التقارير العلمية والفنية ذات البعد القومي
- المدرسة العلمية
- الإنشاءات : مكتبات، متاحف، أقسام ومراكز
- نشر الثقافة العلمية
- التعليم الطبي المستمر
- مظاهر التقدير العلمي والقومي في الداخل
- مظاهر التقدير العلمي في الخارج

المؤلف فى سطور

تاريخ الميلاد ومكانه: ٩ يناير ١٩٣٦ــ دمياط

المؤهلات العلمية:

١. بكالوريوس الطب والجراحة، جامعة القاهرة، ديسمبر ١٩٥٨م.
٢. دبلوم التوليد وأمراض النساء، جامعة القاهرة، أبريل ١٩٦١م.
٣. دبلوم الجراحة العامة، جامعة القاهرة، أكتوبر ١٩٦١م.
٤. دكتوراه التوليد وأمراض النساء، جامعة القاهرة، مايو ١٩٦٤م.
٥. البورد الأمريكى فى التوليد وأمراض النساء، نوفمبر ١٩٧٦م.
٦. زمالة الكلية الأمريكية للمولدين وجراحى أمراض النساء، مارس ١٩٧٨م.

التدرج العلمى والوظيفى:

١. طبيب مقيم التوليد وأمراض النساء بقصر العينى ١٩٦٠-١٩٦٢م.
٢. مساعد باحث بالمركز القومى للبحوث ١٩٦٢-١٩٦٣م.
٣. معيد بقسم التوليد وأمراض النساء بكلية طب جامعة القاهرة ١٩٦٣.
٤. مدرس التوليد وأمراض النساء بكلية طب جامعة القاهرة ١٩٦٦م.
٥. أستاذ مساعد بقسم التوليد وأمراض النساء بكلية طب جامعة القاهرة ١٩٧٢م.
٦. أستاذ أمراض النساء والتوليد بكلية طب جامعة القاهرة ١٩٧٧م.
٧. أستاذ متفرغ بقسم التوليد وأمراض النساء بكلية طب جامعة القاهرة ١٩٩٦م.
٨. أستاذ غير متفرغ بقسم التوليد وأمراض النساء بكلية طب جامعة القاهرة ٢٠٠٦م.

البعثات والإجازات الدراسية والمهام العلمية بالخارج:

١. جامعة كاليفورنيا لوس أنجلوس بأمريكا، زميل مؤسسة فورد لبيولوجيا التكاثر، ١٩٦٨-١٩٦٩م.
٢. جامعة ميسورى مستشفى إليس فيشل للسرطان ١٩٧٠-١٩٧١م.
٣. جامعة جونز هوبكنز ومستشفى فرانكلين سكوير بولاية ميرلاند ١٩٧١-١٩٧٣

الجمعيات والهيئات العلمية المنتمى إليها :

١. الجمعية الطبية المصرية (عضو الجمعية وأمينًا عامًا لها منذ عام ١٩٩٢م)
٢. الجمعية المصرية لأمراض النساء والولادة منذ عام ١٩٦٤م.
٣. الجمعية المصرية لجراحة مناظير أمراض النساء والعقم (رئيس مجلس الإدارة والمؤسس) منذ عام ١٩٩٤م وحتى الآن.
٤. الجمعية المصرية لرعاية الخصوبة منذ عام ١٩٧٦م.
٥. زميل الجمعية الأمريكية لجراحة مناظير أمراض النساء منذ عام ١٩٧٢م.
٦. زميل الكلية الأمريكية لأمراض النساء والولادة منذ عام ١٩٧٨م.
٧. عضو جمعية أمراض النساء والولادة لولاية ميرلاند الأمريكية ١٩٧٣م.
٨. عضو مؤسس للأكاديمية العالمية لجراحى المناطق الحارة ٢٠٠٤م.
٩. عضو مجلس إدارة الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية منذ عام ٢٠٠٠م، وأمين عام للجمعية منذ عام ٢٠٠٨م.

الكتب والمؤلفات العلمية:

١. كتاب "العمليات والآلات فى أمراض النساء والولادة"... (الناشر: المكتبة الأكاديمية ــ القاهرة ــ إصدار عام ١٩٦٥ ــ عدد الصفحات ٢٠٠ ــ عدد الصور ٩٢ صورة).

٢. كتاب "الولادة" ... بالاشتراك مع أ.د. محمد صادق فودة، أ.د. محمد الصادق الدوينى، أ.د. عبد الفتاح يوسف، أ.د. رجائى مغنى (الناشر: دار الكتب العلمية بمصر ــ القاهرة ــ صدر عام ١٩٧٩، الطبعة الثالثة ــ عدد الصفحات ٣٩٢).

٣. "قصر العينى مدرسة وتاريخ" ... وقد قام فيه بسرد مسيرة الطب بقصر العينى، مما كان داعيًا لإعادة بنائه وفق أحدث الطرز المعمارية. (الناشر: دار التحرير للنشر، القاهرة، أصدرته نقابة الأطباء عام ١٩٧٩ ــ عدد الصفحات ١٧٥).

٤. "تاريخ الحركة العلمية فى مصر الحديثة ــ العلوم الطبية" بالاشتراك مع د. عبد الوهاب البرلسى، د. عبده سلام، د. أبو شادى الروبى ود. محمد الظواهرى، وبرئاسة أ.د. إبراهيم بدران (الناشر: أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا ــ القاهرة ــ صدر عام ١٩٩٥ ــ عدد الصفحات ٦٤٢).

٥. كتاب "حكماء قصر العينى"... صدر بمناسبة الاحتفال بمرور تسعين عامًا على إنشاء جامعة القاهرة، وأورد فيه نخبة من أبرز رواد الطب العربى. والكتاب يبحث فى تاريخ أول مؤسسة طبية عربية فى العصر الحديث، ويوضح أن اللغة العربية كانت لغة تعليم الطب بهذه المدرسة لمدة ٧٥ عامًا والتى توافد عليها طلاب من أنحاء العالم العربى ثم أصبحوا روادًا فى بلادهم (الناشر: مطبعة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ــ القاهرة ــ صدر عام ١٩٩٩ــ عدد الصفحات ٤١٦).

٦. كتاب "تاريخ النهضة الطبية المصرية... متحف قصر العينى"... بالاشتراك مع د. حسنى نويصر وكيل كلية الآثار ــ جامعة القاهرة، وقد أورد فيه أندر الوثائق والأدوات الطبية الفريدة لأول مدرسة طبية عربية فى العصر الحديث

منذ عهد محمد على، بالإضافة إلى سرد لتاريخ النهضة الطبية المصرية على مدى خمسة آلاف عام "باللغة الإنجليزية" (الناشر: مطبعة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ــ صدر باللغتين العربية والإنجليزية طبعة أولى عام ٢٠٠٠ ــ القاهرة ــ عدد الصفحات ٢٥٥) طبعة ثانية عام ٢٠١٠.

٧. كتاب "حكماء وشعراء ــ من أون إلى قصر العينى".. وقد ربط فيه بين التراث الإنسانى العالمى فى تاريخ الطب والتراث الطبى العربى منذ ما قبل الإسلام وحتى العصر الحديث. وجمع الكتاب بين الشعر والحكمة، وبه ترجمة لمشاهير الأطباء الحكماء العرب ــ وغيرهم ممن استظل بظلال الحضارة الإسلامية. وبالكتاب أعمال تراثية محققة من الأراجيز الطبية لابن سينا وابن بطلان وابن الخراط والخليل الرازى وغيرهم (الناشر: مركز الأهرام للترجمة والنشر ــ القاهرة ــ إصدار عام ٢٠٠١ ــ عدد الصفحات ٤٢٤).

٨. كتاب "أزمة التعريب"... صدر بمناسبة مرور ١٧٥ عاما على إنشاء مدرسة طب قصر العينى، و٨٥ عاما على إنشاء الجمعية الطبية المصرية، و٧٠ عاما على إنشاء مجمع اللغة العربية (الناشر: مركز الأهرام للترجمة والنشر ــ القاهرة ــ إصدار عام ٢٠٠٣ ــ عدد الصفحات ٥٠٨).

٩. كتاب "فى التعريب والتغريب".. وقد رصد فيه كل ما دار حول أزمة التعريب من دراسات وحوارات لرموز الفكر العربى. (الناشر: مركز الأهرام للترجمة والنشر ــ القاهرة ــ إصدار عام ٢٠٠٥ ــ عدد الصفحات ٣٥١).

١٠. كتاب "شوقى ضيف ــ لمحات وكلمات"... (الناشر: مركز الأهرام للترجمة والنشر ــ القاهرة ــ إصدار عام ٢٠٠٧ ــ عدد الصفحات ٢٥٦).

١١. كتاب "جامعة القاهرة فى عيدها المئوى"... وفيه تسجيل لتاريخ ووثائق جامعة القاهرة وقد صدر بمناسبة الاحتفال بمئوية جامعة القاهرة (الناشر: المكتبة الأكاديمية ــ القاهرة ــ إصدار عام ٢٠٠٧ــ عدد الصفحات ٣٨٥).

١٢. الكتاب التذكارى عن "حصاد المئوية" إصدار جامعة القاهرة ديسمبر ٢٠٠٨. المادة العلمية والإشراف أ.د. محمود المناوى و أ.د. ليلى عبد المجيد عميد

كلية الإعلام جامعة القاهرة.

١٣. ثلاثة فصول فى الموسوعة العالمية "لطب المناطق الحارة" لكامل ولملى، الناشر وستمنستر، لندن عام ٢٠٠٤م. عن: (١) أمراض النساء والولادة عند قدماء المصريين، (٢) بلهارسيا الجهاز التناسلى، (٣) آلام الحوض عند السيدات.

١٤. متى يتكلم العلم العربية؟ ٢٠١١.

التقارير العلمية والفنية ذات البعد القومى:

١. "تعريب التعليم الجامعى والعالى"، ورقة عمل مقدمة للجنة الآداب بالمجالس القومية المتخصصة، ٢٠٠٤م.

٢. "متى يتكلم العالم العربية؟ الطب نموذجًا" ــ مركز الملك فيصل للدراسات العربية والإسلامية ــ الرياض ــ عام ٢٠٠٦م.

٣. "حول معنى اللغة الأم ــ ما المفهوم وما المقصود" ــ مؤتمر "الطفل بين اللغة الأم والتواصل مع العصر "الدوحة ــ قطر، ٢٠٠٧م.

٤. "التعليم الجامعى والعالى وتحديات العولمة" ــ دراسة مقدمة إلى شعبة التعليم الجامعى والعالى بالمجلس القومى للتعليم، ٢٠٠٢م.

٥. "تاريخ الرعاية الصحية لغير القادرين فى مصر" ــ ورقة عمل مقدمة إلى شعبة الرعاية الصحية والسكان، المجلس القومى للخدمات، ٢٠٠٤م.

٦. "استراتيجية نشر الثقافة العلمية والتقنية فى الوطن العربى" ــ بالاشتراك مع د. مصطفى كمال طلبة، د. عبد الوهاب عبد الحافظ، د. محمد صابر، د. يوسف مرسى حسين، د. أميمة كامل (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٤م).

٧. تقرير عن "وضع المستشفى التعليمى لجامعة ٦ أكتوبر" قدم للجنة الوزارية برئاسة المغفور له أ.د. سليمان حزين. (رئيس اللجنة).

٨. "الوثيقة الإسلامية للأخلاقيات الطبية" مقدمة للجنة الدولية الإسلامية للدستور

الإسلامى للأخلاقيات الطبية والصحية"، ديسمبر ٢٠٠٤م.

٩. إسهامات العلماء الألمان فى الطب المصرى ٢٠٠٨م.

المدرسة العلمية:

- مؤسس لمدرسة متميزة متخصصة فى مجال جراحة مناظير أمراض النساء والجراحة الميكروسكوبية لعلاج العقم. كما أن له مدرسته العلمية التى تمثلت فى إشرافه على ٨٢ رسالة دكتوراه وماجستير فى تخصصه وأنشأ الجمعية المصرية لجراحة مناظير أمراض النساء والعقم كإحدى شعب الجمعية الطبية المصرية، ورأس مجلس إدارتها.
- أول من أدخل تكنولوجيا التبريد الجراحى لعلاج أمراض عنق الرحم فى مصر عام ١٩٧٣.
- أول من أدخل تكنولوجيا الجراحة الميكروسكوبية لعلاج العقم فى مصر عام ١٩٧٣.
- أول من أثبت وجود دوالى بالحوض كمضاعفة لربط الأنابيب الرحمية عام ١٩٨٣.
- تتلمذ على يديه أجيال عديدة من أساتذة الطب فى مصر والدول العربية. وقام بنشر (٦٢ بحثًا علميًا) (مرفق) وشارك فى أكثر من أربعين مؤتمرًا وورشة عمل دولية بالإضافة إلى العديد من المؤتمرات المحلية والإقليمية.
- قام بدراسة الأسباب الرئيسية لوفيات الأمهات فى مصر وهى تسممات الحمل والنزف أثناء الولادة وخرج بنتائج ساعدت على الإقلال من مضاعفات هذه الإصابات.

الإنشاءات:

أ ــ المكتبات

- شارك فى إنشاء ٢٥٠٠ مكتبة طبية فى الوحدات الصحية ومراكز رعاية الأمومة والطفولة تضم أحدث المراجع الطبية التى تهم الممارس العام وطبيب الوحدة الريفية، وهى أول مكتبات طبية ألحقت بالوحدات الريفية فى مصر بالاشتراك مع أ.د. إبراهيم بدران وزير الصحة فى ذلك الوقت، ثم أ.د. ممدوح جبر والجانب الأمريكى.
- إنشاء مكتبة وقاعة اطلاع حديثة للطلبة بكلية طب قصر العينى عام ١٩٩٦، مع تحديث مكتبة الدراسات العليا بكلية طب قصر العينى، والتى افتتحت فى يوليو ١٩٩٦م.
- أسهم فى إنشاء المكتبة المركزية الجديدة لجامعة القاهرة والتى افتتحت فى يناير ٢٠٠٨م.

ب ــ المتاحف

- متحف قصر العينى والذى يحتوى على وثائق المدرسة الطبية المصرية منذ إنشائها عام ١٨٢٧م، والذى افتتح عام ١٩٩٨م.
- متحف جامعة القاهرة والذى أودع فيه الوثائق النادرة لرموز مصر وعلمائها البارزين ووثائق الحملة الفرنسية وثانى أكبر مجموعة فى العالم من المسكوكات الإغريقية والرومانية والفارسية والإسلامية منذ ٤٣٠ عام قبل الميلاد، وتراث الجامعة وعلمائها على مدى مائة عام، ومجموعة نادرة من أصول المؤلفات العالمية مثل كتاب وصف مصر والمجموعة الكمالية والإصدارات العالمية الخاصة بمصر وأفريقيا والعالم العربى افتتح فى ٢٩ يناير ٢٠٠٨م.
- متحف الوثائق والمخطوطات والأعمال النادرة بالمكتبة المركزية الجديدة بجامعة القاهرة.

- يرأس لجنة وضع سيناريو العرض لإنشاء متحف تاريخ الطب بقصر السكاكيني بتكليف من المجلس الأعلى للآثار.
- يرأس لجنة المتاحف العلمية بأكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا منذ عام ٢٠٠٠م.

جـ ـ الأقسام والمراكز العلاجية والتعليمية

- شارك في إنشاء أقسام أمراض النساء والتوليد بمستشفى معهد ناصر ومستشفى الهرم.
- شارك في إنشاء أول مركز قومي للطب الوقائي والاجتماعي بجامعة القاهرة.
- شارك في إنشاء أول زمالة للجمعية الطبية المصرية للممارسة العامة (تخرج فيها ٢٤ دفعة حتى الآن).

نشر الثقافة العلمية:

- مقرر مجلس الثقافة والمعرفة بأكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا ٢٠١٠م.
- عضو المجلس التنفيذي للثقافة العلمية، ولجنة الموسوعات والكتب العلمية المبسطة بأكاديمية البحث العلمي.
- عضو لجنة وضع استراتيجية نشر الثقافة العلمية في الوطن العربي بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم واعتمدت الاستراتيجية من وزراء الثقافة العرب عام ٢٠٠٤ م.
- عضو لجنة الثقافة العلمية بالمجلس الأعلى للثقافة.
- شارك في وضع خريطة الطريق "لخطة نشر الثقافة العلمية لدى الأطفال" و"التعليم الإبداعي للعلوم. أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا ٢٠١٠م.

التعليم الطبى المستمر:

- قدم برنامج للتعليم الطبى المستمر على المستوى القومى بهدف توصيل نتائج التقدم العلمى والطبى العالمى للأطباء فى محافظات مصر، وذلك بعد زيارته لمراكز التعليم الطبى المستمر بالولايات المتحدة الأمريكية من ٢٣ يونيو حتى ١٧ يوليو سنة ١٩٧٦م، وذلك بتوجيه وإشراف أ.د. إبراهيم بدران حين كان وزيرًا للصحة.
- رأس برنامج التعليم الطبي المستمر واللجنة العلمية بنقابة أطباء مصر لمدة ٨ سنوات من ١٩٧٦م حتى ١٩٨٤م حيث نظم أكثر من ٤٠٠ ندوة فى جميع محافظات مصر بالاشتراك مع وزارة الصحة وأساتذة الجامعات والجمعية الطبية المصرية.
- شارك مع مجلس إدارة الجمعية الطبية المصرية على "الدورات التدريبية للممارس العام والإخصائى الناشئ، منذ عام ١٩٨٠ وحتى عام ٢٠٠٢م.

مظاهر التقدير العلمى والقومى فى الداخل:

- جائزة مبارك فى العلوم والتكنولوجية المتقدمة لعام ٢٠٠٨م.
- جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الطبية عام ١٩٩٩م.
- وسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى عام ١٩٨٣م.
- جائزة الابتكار فى أمراض النساء والتوليد من أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا (جائزة أ.د. عبد الفتاح يوسف) عام ١٩٨٢م.
- انتخابه عضوا بمجمع اللغة العربية عام ٢٠٠٣م.
- انتخابه عضوا بالمجمع العلمى المصرى عام ٢٠٠٥م.
- اختارته جامعة القاهرة عام ٢٠٠٧م لوضع المادة العلمية لمشروع "العرض المجسم لتاريخ جامعة القاهرة" بالمكتبة المركزية الجديدة بالاشتراك مع المركز القومى للتوثيق الحضارى والطبى بمكتبة الإسكندرية وافتتح المشروع فى ٢٩ يناير ٢٠٠٨م.

- اختارته جامعة القاهرة للإشراف على إنشاء متحف جامعة القاهرة ــ أفتتح فى ٢٩ يناير ٢٠٠٨م ــ ومتحف المخطوطات بالمكتبة المركزية الجديدة ولدراسة إنشاء "متحف الوثائق والمخطوطات والكتب النادرة" بالمكتبة التراثية لجامعة القاهرة.
- كرّمه مجلس جامعة القاهرة المنعقد فى ٢٠٠٨/٧/٢٢م على مجهوداته فى إعداد متحف الجامعة فى المكتبة المركزية الجديدة، وعلى رئاسة اللجان الفنية التى قامت بحصر وتوثيق مقتنيات الجامعة، ودوره فى الإعداد للتوثيق الرقمي للمجموعة الكمالية الذى قام به المركز القومى للتوثيق الحضارى الذى برأسه ا.د. فتحى صالح بمكتبة الإسكندرية.
- اختير عضوًا فى مجلس إدارة مركز دراسات التراث العلمى بجامعة القاهرة ــ أكتوبر ٢٠٠٨م.
- حصل على العديد من الدروع وشهادات التقدير من نقابة أطباء مصر أعوام ١٩٩٤، ١٩٩٧، ١٩٩٨، ١٩٩٩، ٢٠٠١م.
- حصل على وسام العمل الطبى المتميز من الدرجة الأولى من نقابة أطباء مصر عام ١٩٩٨م.
- مثّل مصر فى المؤتمر الدولى لذكرى العالم الإيطالى صلاح الدين داسكولى، الذى نقل كتب ومخطوطات العلوم الطبية والصيدلية من العربية إلى اللاتينية والإيطالية. حيث ألقى بحثًا عن "الطب العربى الإسلامى فى العصور الوسطى والحديثة" عام ٢٠٠٧م.
- حصل على "درع مئوية جامعة القاهرة" ديسمبر ٢٠٠٨.
- اختير عضوًا بلجنة الثقافة العلمية بالمجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠٠٩م.
- انتخب مقررًا "لمجلس الثقافة والمعرفة" بأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا عام ٢٠٠٩م.

مظاهر التقدير العلمى فى الخارج:

- أنتخب عضوًا بالجمعية الأمريكية للخصوبة عام ١٩٧٢م.
- منح جائزة الجمعية الطبية الأمريكية للتعليم الطبى المستمر عام ١٩٧٣م.
- أنتخب مستشارًا دوليًا للجمعية الأمريكية لجراحة المناظير عام ١٩٨٠م.
- أختير كاتبًا فى "الموسوعة العالمية لجراحة المناطق الحارة" الصادرة فى لندن عام ٢٠٠٤م حيث نشر ثلاثة فصول فى هذه الموسوعة.
- إختارته المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت ضمن لجنة وضع مسودة الدستور الإسلامى للأخلاقيات الطبية ٢٠٠٣م.
- اختارته المملكة العربية السعودية "مركز فيصل للدراسات الإسلامية والعربية" ضمن كبار المحاضرين الدوليين عام ٢٠٠٦م، وألقى بحثًا عن "متى يتكلم العلم العربية؟ ــ الطب نموذجًا".
- اختارته دولة قطر لإلقاء محاضرة عن "لغة الأم": ما المفهوم وما المقصود؟ فى مؤتمر "الطفل ولغة الأم" الذى عقد بالدوحة عام ٢٠٠٧م.